عبدالله الحرسوسي

من حقي أن أبكي



لمراسلة المؤلف

e-mail:Abdullah.alharsoosi@hotmail.com

عبدالله الحرسوسي

من حقي أن أبكي



من حقي أن أبكي

عبدالله الحرسوسي



ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
بيروت ـ لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-501-5

الطبعة الأولى 2014

المحتويات

إهداء

إلى من ابتلاهم الله في هذه الحياة..

ـ أواسيهم بهذا الكتاب ـ

راجيًا من الله القبول.

أما قبل

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق، الآية: 37]

ثريد بالدم

16 نيسان 2012
هيماء ـ مكتبتي
قبيل منتصف الليل

في بلد مجاور

سعيد: اليوم مباراة الثأر بين النادي الملكي والبارسا. أنا متأكد أن البارسا سيطحن الريال بالخمسة.

محمد: سوف أدعوك إلى وليمة في فندق الشيراتون خمس نجوم إن فاز البارسا على أن تدفع أنت في حال فوز الريال.

سعيد: حُبًّا وكرامةً، لماذا تكلف نفسك يا صاحبي؟، فالريال مهزوم لا محالة.

محمد: سوف ترى، أصلًا البارسا محظوظ فقط، وإلا فلعبه زبالة في زبالة.

سعيد: البارسا زبالة؟. إذا كان البارسا زبالة، فالريال هو أبو الزبالات.

في اللحظة نفسها في بلاد الشام

رب الأسرة: ادخلوا بسرعة إلى الدور الأرضي حتى لا تصيبكم قذائف الجيش.

طفل يصيح يريد لعبته التي نسيها في الدور العلوي. آخر يبكي خوفًا من صوت المدافع وأزيز الرصاص.

جميع أفراد الأسرة في الدور الأرضي ينتفضون من البرد والجوع والخوف. هم على هذه الحالة منذ عام تقريبًا، لقد تعطلت الحياة نتيجة إصرار الرئيس على قتل جميع من قال: نحن لا نريدك رئيسًا.

منذ عام أصبحت الحياة جحيمًا، فلا أمن ولا طعام ولا كهرباء ولا مدارس ولا اتصالات بين الأقارب... الجثث في الشوارع مع الكلاب الضالة، ورائحة الدم في كل مكان.

يصيح الطفل: أبي أنا جائع أريد خبزًا مع اللبن.

الأب: نعم يا بني وهو يتذكر كسرة الخبز في الطابق العلوي.

في اللحظة نفسها في بلد مجاور

هتافات أمام شاشة التلفاز الكبيرة فالمباراة مشتعلة بين البارسا والريال بعد أن تقدم الريال بهدف.

سعيد يبدو حزينًا مندهشًا، حتى أنه لا يجد رغبة في أكل ثريد الخبز مع اللبن الموضوع على طاولته منذ نصف ساعة. بينما محمد يصيح في فرح وهو يتذكر أن فاتورة الحفلة ليست عليه، أقله حتى الآن.

في اللحظة نفسها في الشام

قذيفة دبابة تخترق جدار الطابق الأرضي، ولحسن الحظ مرَّت فوق رأس الأم التي كانت تحتضن أطفالها، لو كانت واقفة لتحول رأسها إلى فتافيت وأجزاء؛ إنها عناية الله تعالى.

يلتفت الزوج إلى زوجته متيقنًا أنها قُتِلَت فأشارت إليه، إنها بخير.

في اللحظة نفسها في بلد مجاور

سعيد لا يزال حزينًا فالريال لا يزال متقدمًا بهدف. محمد منهمك في شرب الشاي الأحمر مع النعناع بينما يحوم الذباب على ثريد الخبز، فسعيد قد

انسدت شهيته بسبب اللعب الفاتر لناديه الذي يحبه منذ طفولته، كيف يعقل أن يهزم البارسا في عقر داره في مباراة ثأرية انتظرها طويلًا. من حقه أن يحزن فغُرْفَتُه في البيت مليئة بصور لاعبي برشلونة الأبطال، وكم هي المرات التي رأى نفسه يلعب مع برشلونة وهو في المنام، رأى نفسه يومًا وهو يسجل هدفًا خرافيًا، ثم انطلق يجري فرحًا ويده بيد اللاعب ميسي، ذلك اللاعب الأسطورة، أيُعقَل أن ينهزم برشلونة من غريمه الريال في هذه المباراة المصيرية؟

في اللحظة نفسها في الشام

بدأت أصوات المدافع تخف قليلًا وتبتعد عن البيت، تشجع الأب للصعود إلى الطابق العلوي ليحضر الخبز واللعبة.

لقد وجد اللعبة وقد غطاها غبار السقف المتساقط وأمسك بيده الأخرى كسر الخبز، وما أن وضع رجله على سلم الطابق الأرضي حتى سقط متدحرجًا إلى الأسفل بعد أن اخترقت رصاصة قناص رأسه. تدحرج الرجل إلى الأسفل ليستقر جسده بين أقدام أطفاله وفي يده لا تزال كسرة الخبز قد لطختها الدماء.

في اللحظة نفسها في بلد مجاور

يقفز سعيد في فرح جنوني بعد أن تعادل البارسا في الدقيقة الـ80 من المباراة حتى أنه، من شدة الفرح أمسك طاولة البلاستيك الخفيفة التي أمامه ورماها مسافة عدة أمتار بما عليها من صحون وأطباق وثريد اللبن.

من الأسرار

28 نيسان 2010
هيماء ـ ريف المعبر
11 مساء

تغيرت أحوالها فجأة بعد أن رأت أن الكل ينفر منها بسبب رائحة كريهة تخرج من جسدها دون أن تجد له سببًا فهي تغتسل كل يوم ثلاث مرات وتضع أغلى العطور.

مضت على الفتاة ثلاثة أسابيع ولا تزال الرائحة الكريهة تنبعث من جسدها الغضِّ فهي لم تتجاوز العشرين.

جميع أخواتها على قدر هائل من الجمال والفتنة إلا هي فقد حرمت الجمال كله.

إنَّ هذا الأمر جعلها تظن أنها مظلومة دائمًا.

نامت تلك الليلة والرائحة الكريهة لا تزال منبعثة، وأخواتها قد تركن الحجرة كراهية لرائحتها.

تم أخذ الفتاة إلى مستشفيات المدينة ولم يفلح الأطباء والمختصون في كشف السر فجميع أعضائها بخير ولا وجود لأي تلف في أعضائها الداخلية ولا الخارجية يتسبب في خروج مثل هذه الرائحة الغريبة.

عادت الأسرة إلى البيت وكانت الفتاة تبكي طوال الطريق.

كانت تتساءل: لماذا أنا ـ يا ربِ ـ ؟

كانت الفتاة المسكينة في حوار ملتهب مع نفسها.. تذكرت قبحها فهي لم ترزق ذرة من جمال ثم تجد الكل ينفر منها بسبب هذه الرائحة الغريبة.

كانت تأكل الطعام وحيدة فلا أحد يستطيع تحمل الأكل معها بسبب رائحتها المنبعثة.

مر شهر وشهران والفتاة على حالها.

أوصت المسكينة أخاها الأكبر بأن يشتري لها أفضل العطور كي تزيل هذه الرائحة وقد فعل أخوها ذلك، وأهدى إليها أغلى العطور الباريسية، وعطور بلاد الحرمين الشهيرة.

تعطرت الفتاة وبالغت في ذلك فقد كانت تصب العطر صبًّا في ملابسها وعلى سريرها وداخل مسبحها.

ثم اغتسلت واستخدمت أنواع الصابون كافة وكانت تدلك جسدها بقسوة حتى احْمرَّ من شدة الحك.

ثم جففت نفسها ونضحت زجاجة العطر الغالية بأكملها على جسدها كله.

ثم لبست ثوبها الجديد ونضحت كذلك العطر الجديد وخرجت إلى أهلها بعد أن تيقنت أن الرائحة قد اختفت.

وما أن خرجت حتى بدأ الكل في تغطية فمه وأنفه فالرائحة الكريهة طغت على رائحة العطر.

أظلمت الحياة في وجه الفتاة ورجعت إلى حجرتها وهي تبكي بكاء اليتامى.. كان بكاؤها بكاءً مريرًا صادقًا صعبًا على كل قلب رحيم، فقد امتنعت عن الطعام واعتزلت الناس.

في الليل، والكل نائم ما عدا الفتاة فهي تفكر في الجحيم التي تعيش فيها وبدأت تفكر وتفكر وهي مستلقية على ظهرها.

ظلت ساعات مستلقية حتى بدأت تنعس ودخلت في نوم عميق واليأس والضيق يكادان يشقان صدرها الصغير.

في المنام رأت الفتاة أنها ماتت وعندما دفنت في مدافن المدينة، رأت أهل القبور يأخذون أكفانهم ويهربون من رائحتها الكريهة.

نهضت مذعورة من نومها وأخذت كوبًا من الماء وعادت إلى النوم.

ومرة أخرى في المنام ترى أنها قد ماتت وتدخل القبر لتفاجأ بوجود امرأة طاعنة في السن ملأ النور وجهها الجميل، وما أن رأتها حتى بدأت تشكو إليها حالها والرائحة الكريهة.

أجابتها أن تلك الرائحة لا تُزال إلا بالأعمال الصالحة والتقرب إلى الله.

فجأة نهضت الفتاة من نومها وعلى وجهها ابتسامة عريضة، فقد قررت أن تتقرب من الله عسى أن يرفع عنها هذا البلاء فهو ربها وخالقها والذي قال في القرآن: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ...﴾ الآية [النمل: 62]، فإن لم يجبها في هذا الموقف وهي مضطرة فلن يجيبها ما حييت.

بدأت الفتاة بالتهجد والدعاء والتصدق والاستغفار وتجنبت متابعة المسلسلات، والأغاني الهابطة، ولكن الرائحة لم تغادرها طوال هذه الفترة.

استمرت على عبادتها شهرًا بأكمله وكانت تختم القرآن في ثلاثة أيام، وتصوم معظم الأسبوع، وقد مضى الشهر بأكمله ولم تفارقها تلك الرائحة.

دبَّ اليأس في الفتاة وأخذ ينخرها نخر دابة الأرض للخشب وبدأت الفتاة المسكينة تفكر في الانتحار تفكيرًا حقيقيًا وكحلٍّ أخير لهذه الأزمة غير العابرة.

في حجرتها، تجلس الفتاة وحيدة شاردة الذهن تفكر في هذا القرار الذي سينهي حياتها ولكنها تخاف من الإقدام على ذلك لأنها سمعت أن المنتحر مصيره الخلود في جهنم. لكنها الآن تعيش في جهنم. هكذا كانت تحدثها نفسها.

ولكن خوفها من العذاب الأبدي بعد الموت حال دون إقدامها على فكرة الانتحار.

تمنت من الله أن يميتها ميتة طبيعية وسألته من قلبها بكل صدق والدموع تغسل وجهها القبيح، وأغمضت عينيها وهي ترجو أن يكون إغماضها الأخير.

في المنام، ترى الفتاة المرأة العجوز مرة أخرى.

سألتها يا خالة: ما المخرج؟ إن الله لم يستجب لي؟

سألتها المرأة أن تحكي لها قصتها وحالها قبل ظهور هذه الرائحة.

أخبرتها أنها لم تكن سعيدة في حياتها وأن الله حرمها الجمال بالرغم من أن جميع أخواتها آية في الجمال والحسن.

وفجأة بدأت الفتاة تصرخ: لِمَ أنا بالذات؟

ثم قاطعتها المرأة الوقورة: عرفت سرَّ هذه الرائحة يا ابنتي؟

إن سبب الرائحة هو أنك ظننت أن الله قد ظلمك بأن أعطى الجمال لأخواتك ولم يعطه لك. إن هذا الظن السيئ بالله هو سبب الرائحة ومهما عملت من أعمال صالحة وأنت تظنين هذا الظن فلن تفارقك هذه الرائحة. إن الرائحة علامة على أن نفسك نجسة بسبب هذا الظن السيئ بالله.

يا بُنَيَّتي، عليك بتغيير نِيَّتِك، فالله هو العدل ذاته، وهو قائم بالقسط، وربما لا نعرف الحكمة في بعض الأمور ولكن عندما نموت ونلقى الله سوف نعرف الأسرار وسوف نعرف أشياء كثيرة كنا نجهلها.

صدقيني يا بُنَيَّتي إن الله لا يظلم أحدًا وسوف

تعرفين صدق ما أقول عندما تلقين ربك بعد الممات. سوف تعرفين أنه كان من العدل أن يعطيك ما أعطاك.

يا بُنَيَّتي، إن الحياة الدنيا هي مجرد سنوات ثم تنتهي.. حلوها ومرها ثم تبدأ حياة الأبد.. حياة خالدة..هناك يا بُنَيَّتي من الحق لك أن تحزني وتبكي إذا مسخت على صورة كريهة لأن الصورة الكريهة هناك تعني أن الله لم يرض عنك. أما هنا فالجمال ليس مقياسًا لرضا الله أو سخطه.

واستيقظت الفتاة من حلمها في منتصف الليل وأخذت تبكي على ظنها السيئ بالله، ودخلت في الصلاة حتى الفجر ثم نامت حتى الضحى لتقوم وتكتشف أن الرائحة قد اختفت تمامًا.. تمامًا..

وداعًا أيها الضيق

20 حزيران 2006
مدينة هيماء - المعبر

وقفت أمام المرآة تتأمل وجهها الصغير.

هي على قدر مقبول من الجمال فلا عيب في وجهها. وقفت تتأمل في صمت. تتأمل ماذا...؟ هل وجهها؟...لا..فلا شيء في وجهها يضايقها ويجعلها سخرية أمام الناس.

إذًا في أي شيء تفكر وهي تقف أمام المرآة؟

إنها تفكر في سبب الضيق الذي لا يفارقها، ومن دون سبب تعرفه، إن الضيق يشق صدرها شقًا عنيفًا، فأعياها التفكير.

هل هو بُعدها عن الله؟ لكنها تصلي وتصوم ولا تغتاب ولم تظلم أحدًا في حياتها. هل لأن صلاتها لا خشوع فيها؟ ثم ردت على تساؤلها بأنها تصلي صلاتها هذه التي تعودتها منذ عشر سنوات. إن الخشوع ليس

بالأمر الهين لفتاة مثلها فهي ليست متدينة، ولكنها أيضًا ليست بعيدة كثيرًا عن الله.

ثم استمرت في تفكيرها وهي تنظر إلى المرآة..

كان ابنها الصغير يتجول في حجرتها الصغيرة غير آبه لأمه الشابة التي تعاني الضيق الذي هجم عليها على حين غرة. لم يكن الضيق موجودًا بهذه القوة من قبل. إنه عنيف جدًا هذه المرة على صدرها. إنها بالكاد تتنفس من شدة الضيق.

- يا ربِ - ما السبب؟ أيعقل أن يتعرض الإنسان للضيق من دون سبب! لابد من سبب.

بعد دقائق كانت الأم المسكينة تحمل ابنها الصغير متأملة ضحكاته البريئة. حسدت ابنها..هل سمعتم بأم تحسد ابنها؟!

كانت تحسد ابنها على تلك الضحكات والانشراح وهي في قمة الضيق.. مجرد سنتيمترات قليلة تفصل بين قلبيهما.. هو في قمة النشوة، وهي يعصف بها الضيق كما تعصف الريح بورقة يابسة.

هو منها وهي ليست منه.. الأصل في ضيق والفرع في فرح! كيف ذلك؟ كانت تتساءل، ثم سألت

الله أن يديم فرحة ابنها وأن لا يمر عليه ما يمر عليها من أحاسيس.

فكرت في السبب فربما لو عرفت السبب هان الألم.

تذكرت أخاها المتدين الذي لا تفارق البسمة وجهه، تذكرت أنها سألته يومًا عن سبب الضيق الذي لا يفارقها. قال لها حينذاك: إن الإمام علي بن أبي طالب سُئل عن أقوى جنود الله فقال الإمام: أقوى جنود الله الجبال، والحديد يقطع الجبل، والنار تذيب الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب يحمل الماء، والريح تدفع السحاب، والإنسان يحتمي من الريح بالبنيان، والسُكر يذهب عقل الإنسان، والنوم يمنع حدوث السُكر، والهمُّ يمنع النوم، فالهم هو أقوى جنود الله.

لم تفهم المرأة المسكينة مقصود أخيها وكل ما فهمته أن الهم هو أقوى الجنود ولكن ما تعانيه هو ليس الهم بل الضيق. هما شيئان مختلفان تمامًا. الهم يمنع النوم أما الضيق فيجعلك تنام، فأنت لا تحب أن تواجه الواقع الذي تعانيه. الضيق ليس الحزن وليس الهم. الضيق يجعلك تشعر أنك ثقيل على من حولك ثقيل

على الكون.. ثقيل على الحياة كلها. ثم تشعر أنك تكره نفسك وإذا كره الإنسان نفسه كيف له أن يتقبل الآخرين. هو لا يتقبل نفسه التي بين جنبيه فكيف بمن حوله؟

هكذا وصفت المرأة المسكينة ما تعانيه ثم نامت في ليلتها تلك دون الوصول إلى حل. كان زوجها صامتًا يشاهد التلفاز، وهو بالرغم من قربه منها إلا أنه بعيد عنها وكأنهما جزيرتان منفصلتان.

في تلك الليلة رأت في المنام أنها تسأل معلمة تعرفها عن سبب معاناتها ثم بدأت المعلمة بشرح حالتها وأسباب معاناتها.

في الصباح استيقظت المسكينة للصلاة وهي متضايقة على عادتها وتذكرت أنها رأت شيئًا في المنام وأنها سألت المعلمة عن سبب ضيقها. حاولت تذكر ما قالته لها لكن من دون جدوى.

بعد أيام، لم يخف مستوى الضيق في صدرها وكأنه أقام إقامة دائمة، كأنه أعجبه صدرها الضيق الصغير فزاده ضيقًا.

ما الحل؟ سألت أخاها الأوسط الذي عرف بصمته الطويل الممل وهي لا تتوقع منه إجابة شافية.

سألته من باب الترويح عن النفس فهي تشعر بالراحة كلما اشتكت.

رد الأخ قائلًا: سبب ضيقك هو أنك حريصة أكثر من اللزوم على رأي الناس فيك. أنت حريصة على حب الناس لك.. حريصة على أن الناس يحبونك فإذا أردت أن يخف الضيق فلا تكترثي لرأي الناس بك. هل الناس هم من سوف يحاسبونك؟ كيف تحرصين على حب مخلوقات مسكينة لا تستطيع أن ترد مرضًا أو موتًا؟ فإذا رفض الضيق أن يتركك، فتذكري أن من يوزع المشاعر والأرزاق والابتلاءات هو الله. الله هو من أضحك وأبكى. فإذا ما جاءك الضيق فقولي: مرحبًا بفعل الله فيّ. فأنت يا ضيق لست إلا جنديًا من جنود الله المرسلة. أنت رسول من أرحم الراحمين فمرحبًا بك، نزلت أهلًا وحللت سهلًا.

قولي للضيق: أقم في صدري ما شئت أن تقيم، وانحت كما ينحت البحر الجبال على شواطئه. انحت كما تشاء فأنا أعرف من أرسلك.. الذي كل أفعاله رحمة وحكمة.

وما أن سمعت المسكينة هذا الكلام الغريب حتى أحست بشيء مًّا يتغير فيها، أحست أن الضيق مسكين

مثلها لا حول له ولا قوة، فما هو إلا جندي مرسل
وكانت كلما شعرت بالضيق تذكرت أنه مسكين مثلها
فتُرسم ابتسامة خفيفة على وجهها الصغير.

إن لم تكن أنت.. فمن يكون؟

10 شباط 2011
مدينة هيماء ـ ريف المعبر
العاشرة مساء

في ليلة من ليالي الشتاء الباردة، وبعد ساعة من التقلب على السرير أيقنت أن عقلي يرفض النوم وأنه يريد أن يقول شيئًا.

ولأني شخص مطيع، لم تمض نصف ساعة إلا وكان القلم والقرطاس وكوب الشاي وكانت هذه الأسطر...

أنت يا ربِ الموجود بحق فكل ما عداك سراب.. مجرد رسوم على رمل لا تلبث أن تذروها الرياح..

ذكرتك يا ربِ فكانت نعم اللحظات التي عشتها في ذكرك.. تأملت إبداعك في الكون فرأيت شيئًا عجبًا..

الطيور المهاجرة التي تقطع آلاف الأميال هربًا من الشتاء القارس دون أن تضل طريقها! من هداها إن لم تكن أنت؟.

والتمويه والحيل التي تقوم بها الكثير من الحيوانات لتختفي من أعدائها.. من علمها إن لم تكن أنت؟.

والكائنات المختلفة من طيور وحشرات وهي تربي صغارها ليس من أجل أي مصلحة إلا أنه الواجب والفطرة. من علمها تلك الأخلاق إن لم تكن أنت؟

والثعلب القطبي الذي يقوم بتغيير لون فروته حسب الفصل ففي الشتاء يكون الفرو أبيض كلون الثلج فيصعب رؤيته، وفي الصيف يعود الفرو إلى لونه الطبيعي! من برمج جينات هذا الحيوان ليقوم بهذا إن لم تكن أنت؟

والحيوانات المفترسة التي تعض ضحيتها من العنق وبذلك تقطع الأكسجين ومجرى الدم فتموت الضحية خنقًا.. من علمها وظائف الأعضاء إن لم تكن أنت؟

والنحل تلك المخلوقات التي تحكمها قوانين

صارمة فهناك ملكة وخدم وحرس وتوزيع للمهام وعدم السماح بوجود إلا ملكة واحدة لا أكثر في الخلية خشية تفرق المملكة؟ إن السفينة تغرق بوجود أكثر من قبطان والدولة تسقط بوجود أكثر من حاكم. من علمها هذا النظام الصارم إن لم تكن أنت؟.

وسنام الإبل الذي هو عبارة عن مستودع للدهون تلجأ إليه هذه الحيوانات المسكينة في الصحارى القاحلة التي يشحُّ فيها المياه والكلأ، فيكفيها هذا المخزون أيامًا طويلة قد تمتد شهرًا. كما جعلت لهذه الحيوانات الخدومة للبشر صفة قلة التعرق بتصميم أنوفها على هيئة تعمل على الاحتفاظ ببخار الماء أثناء عملية التنفس، حتى لا تخسر كثيرًا من الماء فهي في بيئة يُحتاج فيها إلى الماء ولا يسمح لها بإضاعته بالعرق. وحتى لا تغوص الإبل في رمال الصحراء فقد جعلت ـ يا ربِ ـ لها خفافًا غليظة مستعرضة فلا تغوص في الرمال رغم الوزن الثقيل وما تحمله من أثقال.

ليس هذا فحسب، بل إنك ـ يا ربِ ـ جعلت لها حواجبَ كثةً ورُمُوشًا طويلةً وشعر أذن طويلًا كنوع من الحماية من رمال الصحراء.

فكيف ـ يا ربِ ـ لا أبكي عرفانًا بجميلك عليّ

وعلى هذه المخلوقات المسكينة؟ والعناكب التي تسافر مئات الأميال في عرض البحر عبر إطلاق خيوط حرير لتدفعها الرياح إلى جزر بعيدة. من علم هذه الكائنات هذه الحيلة مستغلة قوة الرياح، إن لم تكن أنت؟.

والتناوب في تدفئة البيض بين الذكور والإناث عند بعض الطيور، أليس آية منك عليك! من علمها أن التناوب ضروري وإلا فسد البيض، إن لم تكن أنت؟.

وبالرغم من كثرة الوحوش والسباع في البرية لا نرى لها جيفًا! أين تختفي وتموت. من علمها أن تواري جثمانها في مكانٍ مَّا عند شعورها بالموت إن لم تكن أنت؟.

منْ علَّم الثعلب حِيلة حفر أكثر من مخرج في جحره للتعامل مع حالات الطوارئ فإن سُدَّ مخرجٌ لجأ إلى المخرج البديل.. من علمه علم التخطيط والبدائل إن لم تكن أنت؟.

منْ علَّم النمل أن تقوم بفلق بعض البذور إلى فلقتين قبل أن تدخلها في مخازنها حتى لا تنمو هذه البذور بعد نزول المطر فتهدم ما بنته، إن لم تكن أنت؟.

والأفاعي التي لها القدرة على رؤية الأشعة تحت

الحمراء التي نعجز عن رؤيتها نحن بني البشر وبالتالي تستطيع هذه الأفاعي رؤية الأشعة تحت الحمراء التي تصدرها بعض فرائسها. من أعطاها تلك المزية إن لم تكن أنت؟.

منْ علَّم الحيتان والسلاحف أن تستخدم الصدى كي تتفادى الاصطدام بالصخور بأن ترسل أصواتًا فترجع كصدى تفهمه هذه الكائنات فتغير مسارها تبعًا لذلك. من علَّمها إن لم تكن أنت؟

وآذان الفيلة تكون كبيرة في المناطق الحارة لكي تعمل على تهوية الجسم حيث تتسرب الحرارة من خلالها، بينما ليس ضروريًا أن تكون كبيرة في المناطق الأقل حرارة، من فعل هذا إن لم تكن أنت؟.

منْ أعطى الطيور والأسماك ذلك الهيكل الانسيابي حتى تقلَّ مقاومتها للهواء ولتيارات الماء، من أعطاها إن لم تكن أنت؟. منْ أعطى طائر الحمام القدرة على سماع الأصوات غير المسموعة التي لا يستطيع الإنسان سماعها، من منحه هذه الخاصية إن لم تكن أنت؟

منْ علم الطيور حيلة استغلال تيارات الحمل الهوائي فترى الطيور تبسط أجنحتها دون حركة مستغلة

تيارات الحمل الهوائي صعودًا وهبوطًا. إن لم تكن أنت؟.

والأميبيا ذلك الكائن وحيد الخلية الذي له القدرة على التحسس بالبيئة المحيطة والتغذي والتنقل من مكان إلى آخر وهو مجرد خلية دون جهاز مخ. كيف وعت وتصرفت، من علمها إن لم تكن أنت؟.

والماء الذي يصعد عكس الجاذبية في عنق الزرافة الطويل كيف له ذلك؟ وآذان الأرانب التي تكون كبيرة في المناطق الحارة حتى تساعد على التهوية فمرور الدم في هذه الآذان الكبيرة يطلق حرارة فيبرد الجسم.. وفي المناطق الباردة تكون آذان الأرانب صغيرة لعدم الحاجة إلى ذلك.

إن لم تكن أنت ـ يا ربِ ـ فمن يكون؟ لا أحد سواك. آمنت بالله.

إلى صاحبي مع التحية

25 تشرين الأول 2009
9 مساء
حقل نمر النفطي ـ جنوب عمان

كانا أفضل ما يكون الأصدقاء إلا أنه الموت الذي كانت له كلمة الفصل في إنهاء هذه العلاقة الحميمة بين الشابين فقد مات أحدهما على سرير نومه وهو لا يشكو بأسًا.

في الليلة التالية رأى الشاب أنه يقرأ رسالة من صاحبه الميت. كانت الرسالة تقول:

إلى صاحبي مع التحية،،،

لقد متُّ إذًا يا رفيقي وتركتُ دنياكم وها أنا في أعلى درجات الجنة ربما هي عليين أو الفردوس لا أدري ولكن ملائكة الرحمة أخبروني بأنها أعلى درجات الجنة ولم أفاجأ بالملائكة بعد الموت لأن الله قد أخبرني بذلك في الآية 32 من النحل ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ

ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

لقد فوجئت يا صاحبي برحمة الله الواسعة فمع عظم ذنوبي إلا أنه لم يشعرني بالمؤاخذة إطلاقًا.

إن الله رحيم كريم يا صاحبي!

إنه ودود رحيم، ذو مغفرة، وذو كرم، ليس له حدود أعجز عن وصفه.

لقد كنت أرى جسدي ممددًا على لوح خشبي قديم وأنتم تخلعون ملابسي كلها وتقومون بتغسيلي وكنت أرى رجلًا آخر يضغط على معدتي حتى أخرج ما فيها ثم أراه ينظف سوءتي.

ثم أراكم وقد دخلت الجنة وأنتم تحملونني على الأعناق في طريقكم إلى قبري.

ثم رأيتكم وقد دفنتموني، إنكم دفنتم جسدي فقط، أما روحي فقد رحلت قبل الدفن بساعات.

الحمد لله..

فلا خوف عليّ بعد اليوم وإلى الأبد وإني والله يا صاحبي في شوق عارم إلى قيام الساعة كي أرى نعيمًا منظورًا بعيون الأجساد.

إني أتطلع إلى الآخرة من عالمي ـ عالم البرزخ ـ كي أرى نتائج أناس أعرفهم وأناس آخرين لا أعرفهم.

لقد ضمنت نفسي وأريد أن أعرف من هو أعلى مني ومن هو أدنى مني.

يا صاحبي، إني أحمد الله فأنا في أشد الفرح وهل بعد درجة عليين شيء؟

ولقد علمت أن سبب هذه الدرجة هو الأخلاق مع الله ومع الناس وفي تدبر الكون وفي جعل كل أعمالي لله.

يا صاحبي، إنني في نعيم ولن أحزن على هبوب رياح الجنوب التي تنعمون بها فهنا رياحين الخلد تهب عليّ وهنا مناظر لعالم مهول عالم لا أرى فيه أسبابًا.

إنه عالم فعلًا غريب لم يخطر على قلبي ومهما وصفت فلن أفلح في الوصف وكيف لي أن أصف الكمال.

لك مني أجمل سلام فكم كنت أحبك..

أثَّرت الرؤيا العجيبة في الشاب أيَّما تأثير وشعر أن صاحبه قد سبقه إلى عالم الخلد، وتيقن أن الرسالة بهذا الوصف الدقيق هي رسالة من عالم يقين وإن جاءت عبر عالم الأحلام والرؤى.

نذر الشاب حياته بعد هذه الرسالة أن تكون لله، فأصبح يقضي كل يومه في السوق؛ يعين ذا الحاجة، ويعطي المحروم، ولا يرد سائلًا، وكان ليله أكثره قيامًا حتى انتفخت قدماه، واحمرت عيناه من شدة النحيب شوقًا إلى ذلك العالم المهيب، وما هي إلا أيام حتى فوجئت الزوجة في صبيحة يوم أن زوجها قد فارق الحياة وهو ساجد صلاته ليدخل ذلك العالم.. عالم الخلود من أوسع أبوابه وفي أجمل ما تكون خاتمة وكأنه أبى إلا أن يرافق صاحبه في تلك الدار الباقية التي طالما كانا يعملان لها منذ أن تعارفا في مدينتهما الواسعة.

مذكرات طالب انتحر

5 تشرين الثاني 2006
بر الجصة ـ مسقط

في السكن الجامعي وفي حجرته التي تحمل الرقم 77 وجُد طالب كلية الطب منتحرًا.

وعلى طاولته وجدت هذه المذكرات التي كتبها قبل أن يقدم على جريمته الشنيعة.

تقول المذكرات:

إلى أمي وأبي..

هذا هو القرار الأخير/

لقد كنت صادقًا وأنا أدخل كلية الطب أن أمضي سنوات الدراسة الثماني وأتخرج طبيبًا كما كنتما تريدان وها أنا في سنتي الأخيرة ولكني أيقنت في هذه السنة أن الحياة لا معنى لها.

حاولت ـ والله ـ طويلًا أن أفهم أسرار الحياة وفك ألغازها لكني لم أستطع.

صدقوني، والله حاولت ولكني عجزت. حاولت أن أفهم أسباب المخاوف والأحزان التي كانت تجتاحني طوال عمري ولكني لم أنجح في كشف السبب الذي يجعل الحزن دائمًا مهيمنًا على جوارحي. ثم وبدون مقدمات خف الحزن وحل مكانه ضيف جديد وهو الخوف..

أمي، إن الخوف أشد ألمًا من الحزن. لقد سيطر الخوف عليّ لدرجة لم تعد قدماي قادرتين على حملي.

لماذا هذا الخوف؟ لماذا الحزن؟ لماذا أنا بالذات؟ لا أدري.

وليس الخوف ولا الحزن السبب في انتحاري ولكن عدم فهمي لكثير من أحداث الحياة جعلني أشعر وكأني خروف محمّل في سيارة نقل للمواشي لا أدري إلى أين يُذهب بي.

إن المواشي تُساق إلى الموت وهي لا تشعر بل إنها تلتهم بنهم قبل ذبحها بدقائق وكذلك هو شعوري.

أمي..

لم أفهم الحكمة من مرض الأطفال ولا الحكمة من موت البشر جوعًا ولا الحكمة من ابتلاء الكفرة في

الدنيا بأمراض قوية جدًا مثل العمى والشلل (هل هو العذاب الأدنى؟).

كما لم أفهم الحكمة من الفقر والغنى وهل ابتلاءات الناس متساوية؟

كما لم أفهم السر في تمايز مقدار الجمال والقبح بين الناس حتى أني رأيت أخوة من الأب والأم نفسيهما، واحد في قمة الجمال وآخر في قمة القبح.

ما السبب؟ إنها ليست الجينات بل هناك سر؟

هل صحيح أنه كان لنا وجود في عالم الذر وأنا شهدنا على وحدانية الله قبل أن يخلق الله أبانا آدم؟

وإذا كان الزمان والمكان مخلوقين فماذا كان هناك قبل خلق الزمان والمكان؟

وقبل بلايين السنين هل هناك خلق لله أم هذا الكون هو البداية وكيف تكون هي البداية وكلمات الله لا تنتهي منذ الأزل وبنص القرآن؟

لذا قررت أن أغامر وأرى طبيعة الحياة بعد الموت ولكني لن أستطيع إخباركم بما سوف أرى بسبب استحالة ذلك كما تعلمون.

مع السلامة وإلى اللقاء.

انتهى..

لقد كانت قصة هذا الطالب حديث الطلاب شهورًا وكنت أقول في نفسي لوكنت أعرفك لكنت أعطيتك الإجابة عن كل سؤال وكان يكفيك أن تعلم أن السر يبقى سرًا وأن لذة الحياة في أسرارها.

كان يكفيك أن تعلم أن الله قال ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾[1] ويكفيك أنه قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْئًا﴾[2] ويكفيك أن تعلم أن الله أخبرنا في القرآن أنه من الصعوبة معرفة حكمته دائمًا. أليس هو القائل ﴿لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

قد استعجلت يا دكتور وأتمنى لك السلامة في عالمك الجديد..

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 23.

(2) سورة يونس، الآية: 44.

(3) سورة البقرة، الآية: 22.

عندما خلوت بنفسي

25 نيسان 2011
ميلان ـ ايطاليا
9 مساء

ما هذه الحياة الرتيبة المملة في معظم أوقاتي؟

أيعقل أن تمضي حياتي فقط بين مقر عملي وبيتي وأسرتي.

أتناول في اليوم وجباتي الثلاث وأتابع أخبار العالم عبر فضائياته ثم أزور المريض في مشفاه وأعزي المنكوب في بلواه ثم في المساء وعندما أشعر بالملل ألجأ إلى الرفاق وألعب الورق ساعات وساعات وفي آخر الليل أرمي بجسدي على السرير كي أبدأ عملي الروتيني في الصباح التالي. .

أيعقل أن تمضي حياتي على هذا النحو حتى يأتي الموت على حين غفلة مني لأجد نفسي خارج الحسبة. . حسبة أهل الدنيا.

هذا الإحساس الذي لا يفارقني منذ أعوام طويلة

دفعني دفعًا إلى مطالعة الكتب والتأمل المستمر حتى في ساعات نومي حيث إن الأحلام غدت وسيلة للتفكر في الأشياء التي أفكر فيها في يقظتي.

ومن خلال الكتب تعرفت إلى الشخصيات التي خلدت ذكرها والتي كانت لحياتها معنى جميلًا. عندئذ ازداد الملل وصغرت نفسي في نفسي وتضاءلت حتى لم أعد أحفل بإهانة أو إطراء ولم أعد أحقد على أي مخلوق حتى لو ظلمني فمن أنا حتى أحقد. أنا لا شيء، مجرد حاجة زائدة في هذه الحياة القصيرة. ومن هذا الذي أحقد عليه وهو مثلي لا يكترث إلا لبطنه وراحته وأسرته، تأخذه الحياة وتحركه الأحداث ولا يحركها.

أعلى مثل هذا أحقد؟

وما أكثر ما ضحكت في نفسي ولكن بطعم البكاء على أولئك الذين يتشاكون عند القضاء بسبب قطعة أرض أو قنطار مال.

أما أنا فبعد القراءات، فقد تعلقت بالعِظام من الناس الذين كانت حياتهم عطاءً وكانت حياتهم للناس وليست لهم.

تعلقت بالأنبياء الكرام.. بالعلماء في شتى

المجالات.. تعلقت بأهل العلم والفكر.. تعلقت بابن سيناء[1] والخوارزمي[2] ونيوتن[3] وأينشتاين[4] وشكسبير[5] والخيَّام[6] وابن النفيس[7] وابن

---

(1) هو: القاضي السعيد هبة الله ابن القاضي الرشيد جعفر بن سيناء الملك محمد بن هبة الله بن محمد، المعروف بابن سيناء (Avicenne) (550هـ ـ 608هـ)، برع في الطب والفلسفة، وألف فيهما مؤلفات كثيرة، واشتهر بالطبيب، والأستاذ، والشيخ.

(2) هو: أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي (algorithme)، المتوفى سنة (ت 232هـ 846 م)، عالم في الرياضيات، وهو الذي أسس علم الجبر.

(3) هو: إسحاق نيوتن (Newton)، (1642 ـ 1727م)، عالم فيزيائي رياضي، إنجليزي، اكتشف التلسكوب العاكس، وهو الذي اكتشف قانون الجاذبية الأرضية.

(4) هو: ألبرت أينشتاين (Einstein)، (1879 ـ 1955)، عالم فيزياء ألماني وضع نظرية النّسبيّة التي تحدد الأفكار الأساسية، (الزمان، المكان، الكتلة، الحركة، الجاذبية) التي نعتمد عليها لوصف الأحداث الطبيعية.

(5) هو: وليم شكسبير (William, Shakespeare) (1564 ـ 1616م)، أديب شاعر إنجليزي، برع في المسرحيات، والقصص الأدبية، والشعر، له مؤلفات أدبية كثيرة.

(6) هو: أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيَّام النيسابوري (440هـ ـ 518هـ)، فيلسوف وشاعر فارسي وعالم في الرياضيات، والفلك، واللغة، والفقه، والتاريخ. له مؤلفات كثيرة أكثرها في الرياضيات. لقب بالخيَّام لأنه كان في بداية حياته يصنع الخيام.

(7) هو: علاء الدين علي بن أبي الحزم المصري، المعروف =

الهيثم[1] وفولتا[2] مخترع الكهرباء وأديسون[3] صاحب الاختراعات الكثيرة. . تعلقت بالشعراوي[4] وصاحب العلم والإيمان مصطفى محمود[5] وتعلقت بالمبدعين وبالأطباء الذين جعلهم الله رحمة على مرضاه. .

= ب(ابن النفيس)، (ت 678 هـ1290 م)، أشهر أطباء العرب بعد ابن سيناء، له مؤلفات في علم التشريح.

(1) هو: أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم البصري (370هـ - 429هـ)، أحد علماء الهندسة والهيئة.

(2) هو: فولتا، كونت ((Volta, Count) (1745 - 1827م). مخترع إيطالي اكتسب الشهرة، لاختراعه البطارية الفولتائية، وهي طراز بطارية كهربائية قديمة. كذلك له عدة اكتشافات في الاستاتيكا الكهربائية، والأرصاد الجوية، وقد سمي الفولت، وهو وحدة قياس كهربائية، باسمه.

(3) أديسون، توماس ألفا (Edison, Thomas Alva) (1848 - 1931م). أشهر مخترع أمريكي في التاريخ. لم ينل من التعليم الرسمي أكثر من ثلاثة أشهر فقط، لكنه غيّر حياة الملايين من البشر باختراعات منها: المصباح الكهربائي ومُشَغِّل الأسطوانات. وسجل ما مجموعه 1093 اختراعًا.

(4) هو: الشيخ محمد متولي الشعراوي (1329 - 1419هـ، 1911 - 1998م)، العالم المصري، الفقيه المفسِّر، قام بتفسير القرآن الكريم، من أبرز علماء عصره، وأحد دعائم الفكر الإسلامي الحديث بمصر، وركيزة من ركائز الدعوة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين.

(5) هو: طبيب مصري توفى عام 2009 له مؤلفات عديدة في الدين والأدب والفكر.

تعلقت بالدعاة الذي يبلغون دينهم ويعلمون الناس الخير وأعجبت بالتجار الذين عمروا مدنهم بالمشاريع النافعة فبنوا المساجد والجامعات والمعاهد والمشافي.

كانت لحياتهم معنى لأنها كانت عطاء فالسعادة هي العطاء والأخذ هو الشقاء.

إن حياتي طوال الأعوام الماضية كانت ولا تزال مجرد أخذ.. أخذ راحة للنوم وأخذ الوقت للتلفاز وأخذ إجازة للسفر والتجوال وأخذ المال لإنفاقه على شهوات الجسد البالي الذي سوف يفنى بعد حين من الدهر.

ولطالما خلوت بنفسي ولا أزال، كي أبكي على حالي وأبكي على ما مضى من حياة وعلى ما سوف يمضي على هذا النوع من الحياة المملة الخالية من الإنجازات. ولطالما سألت الرب الكريم أن يأخذ بيدي إلى حياة تشعرني أن وجودي له معنى وأني فعلًا من فئة الناس الذين أحببت أن أكون مثلهم من العلماء والدعاة والمخترعين والمفكرين الذين ظلوا أحياءً بأعمالهم بالرغم من مرور مئات السنين على رحيلهم.

تفكرت في حالي بعد مائة عام فلم أجد إلا قبرًا خالي المعالم غير معروف صاحبه.. مجرد قبر تحول

عظم ساكنه إلى تراب ثم أصبح غذاءً للبكتريا التي تحلل الأجساد إلى مواد عضوية..

ابتسمت ابتسامة باهتة لتلك النهاية الحزينة لتنقلب الابتسامة إلى حزن وألم على حياتي إن صح أن نسميها حياة فهي في واقع الحال لم تكن كذلك على الإطلاق بل مماتًا دام ثمانين عامًا لأنتقل بعدها إلى حياة أخرى، الله أعلم بطبيعتها..

عندما قال أهل الأرض:
أنتِ قبيحة

25 شباط 2010
مدينة هيماء ـ ريف المعبر
5 مساء

إنها حزينة جدًا إلى درجة الرغبة في الانتحار. .

السبب: هو قبحها الشديد بالرغم أن أخواتها على قدر مقبول من الجمال.

والمشكلة ليست القبح بل الإهانة والسخرية اليومية التي تتلقاها في بيتها من أمها. .من أخواتها. . حتى من الأطفال الذين ينادونها بعفوية: يا قبيحة الوجه. كان الأطفال يقولونها ببراءة وكان الألم والحزن والضيق يفتك بالفتاة المسكينة كما يفتك المرض الخبيث بصاحبه.

كانت ترى الباعة يبتسمون لجميع النساء وما أن يأتي دورها لدفع ما اشترته حتى تتحول بسماتهم إلى تكشيرة وعدم مبالاة بها.

لماذا أنا قبيحة؟

لـمَ أنا بالذات دون أخواتي على الرغم أننا من أب واحد وأم واحدة؟

هل أنا بنت حرام أشبه أبي الحقيقي وليس أبي الذي أعرف؟

كانت هذه الأفكار يومية طوال السنوات الخمس والعشرين الماضية التي هي عمر هذه الفتاة المسكينة.

كرهت الحياة بما فيها..

فكرت في الموت والانتحار ولولا أنها سمعت أن الانتحار حرام يخلد صاحبه في جهنم لأقبلت على الموت دونما تردد.

كانت تقول: إذا كان الانتحار يفضي إلى النار وحياة الشقاء فأنا في العذاب مذ ولدت.

جميع أخواتها قد تزوجن إلا هي بالرغم أنها البكر، وطبعًا السبب هو قبحها الشديد.

ولكن ما ذنبي أنا؟ كان هذا السؤال يتردد عليها في كل ساعة.. في كل خلوة. هل تلوم والديها على قبحها؟ أم تلوم من؟

إن الخالق هو الله الذي جعلها على تلك

الصورة.. لكن الله لا ينظر إلى الصور والأجساد ولكن إلى القلوب والأعمال. ولكن الناس تنظر إلى الأجساد ولا تستطيع أن ترى القلوب.

سألت ربها الخلاص..

كانت تصلي وتصلي..

كانت تسأل ربها شيئًا واحدًا.. الموت والرحيل عن هذه الحياة المريرة التي لم تجد فيها من ينظر إليها تلك النظرة العادية.. نظرة عادية مجردة من أي إعجاب أو سخرية.. مجرد نظرة. لكنها لم تجد.

حتى الأطفال أصحاب القلوب البريئة قالوا كلمتهم فيها.

إنها لا ترى في الأطفال أي براءة بل هم سبب في شقائها وإذا كان الأطفال كذلك فكيف بغيرهم!!

إنها ترى الشفقة في أعينهم دون أن يتكلموا.

لقد قال أهل الأرض كلمتهم فيها وانتهى كل شيء.

قالت لها أمها يومًا: لا أدري من أين جئت بهذا القبح.. يبدو أنك سوف تكونين همًا عليّ حتى أموت فلن تتزوجي أبدًا.

أما أبوها فكان أكثر رحمة بها بالرغم أنه ليس أبًا مثاليًا.

أخوها الأكبر نعتها يومًا بالقبح. أما أخوها الأصغر فلا يتردد في مناداتها بالقبيحة كلما غضب منها.

أبعد كل هذا تستطيع أن تحب الحياة؟

لقد عشقت الموت لأنه الحل.

لقد عشقت الموت لأنه لا يهزأ بها بل يعاملها كغيرها.

يأتي الموت ويجعل الجسد ساكنًا.

إن الموت أكثر عدلًا من الحياة...

الكل في نظر الموت واحد. الكل يتحلل إلى تراب. الفقير والغني.. القبيح والجميل.

ما أجمل الموت وما أعدله!

ليت الحياة لم تكن.. بل موت دائم.

هكذا حدثت الفتاة نفسها وحمدت الفتاة ربها على أنه جعل للحياة نهاية وحمدت الله على ذلك وشكرته على أنه هداها إلى هذا الأمل القريب.. إلى

الموت الذي قد يأتي فجأة ويخلصها من هذا العذاب.

كانت تصلي وتصلي واكتشفت بعد أشهر أن الكل أصبح يناديها بالمُطَوَّعة.. والمتديِّنة. حتى أن الكل أصبح يحترمها ويتحبب إليها.

واستغربت الفتاة السبب.. هل لأنها تصلي؟ هل لأنها أحبت الموت فأحبتها الحياة؟.

لا تدري..

البيت الهادئ

20 أيار 2010
أبوظبي ـ فندق النخلة
العاشرة ليلاً

قال لها: لا تحزني فالله قادر على أن يرزقنا الولد. لكن اليأس قد عرف طريقه إلى قلب الزوجة المسكينة فهي متزوجة منذ خمسة وعشرين عامًا ولمَّا تُرزق الولد بعد.

سافرت مع زوجها إلى عدة بلدان ولكن لا جديد وها هي تقترب من سن الأربعين فأمسى اليأس يأسين.

كان البيت الواسع هادئًا وكأن أهله قد سافروا وتركوه.

ثماني غرف واسعة موزعة على طابقين. صالة جلوس واسعة وكل غرفة بدورة مياهها.

خمسة وعشرون عامًا مضت والبيت على سكونه إذ لا أصوات إلا صوت الزوج وهو ينادي الطباخ لإعداد الغداء بعد يوم طويل من العمل.

خمسة وعشرون عامًا، الزوج والزوجة إلى طاولة الطعام متقابلان. . لا أحد غيرهما.

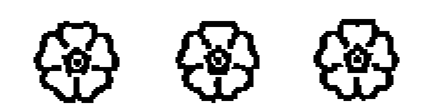
قالت له ذات مساء: لماذا لا تتزوج، فقد ترزق الولد ولا تكترث لحالي فأولادك هم أولادي.

قال لها: لم أتزوج وأنا شاب فهل أتزوج وأنا أقترب من الخمسين. أرجوك كُفِّي عن هذا فقد أخبرتك أني راضٍ بقسمة الله. لقد تزوجتك لأني أحبك وليس رغبة في الولد. الأولاد شأن إلهي خالص.

❀ ❀ ❀

كان موضوع الأولاد هو الموضوع المسيطر على فكر الزوجة المسكينة لكونها السبب فالتقارير الطبية تؤكد أن السبب فيها لا في الزوج.

كانت تبكي في خلوتها وتبكي أكثر من طِيبة زوجها الذي يرفض دومًا أن يتزوج عليها. . كانت تبكي لأنها السبب في حرمان مثل هذا الرجل النبيل ما يتمناه كل زوج ولكن ما الحيلة فهو شأن إلهي محض.



بعد عشر سنوات. .

الزوج عمره ستون عامًا.. الزوجة تجاوزت الخمسين بقليل.. البيت على حاله.. الهدوء يحف المكان.

الفرق الوحيد أن الزوجة تشعر بالغثيان والرغبة في التقيؤ وما أغرب الدنيا فالطبيب يقول إنها حامل!!

حامل!

لم يصدق الزوجان الخبر وذهبا إلى مستشفى آخر.. وإذا هو الكلام نفسه.. الزوجة حامل بعد خمسة وثلاثين عامًا من الزواج.. يا رحمة الله.. يا بركة الله.

❀ ❀ ❀

بعد عامين تقريبًا، أصبح تعداد سكان البيت الواسع أربعة أشخاص. الزوجة والزوج والطباخ ومحمد الابن الذي أكمل عامه الأول. البيت أصبح ينبض بالحياة لوجود محمد ذلك الطفل الجميل.

حرص الوالد على ابنه محمد أشد الحرص كيف لا وقد انتظره خمسة وثلاثين عامًا؟.

التحق محمد بأفضل الجامعات وها هو محمد قد تخرج في كلية الهندسة متخصصًا في البترول.. كان

الوالد قد تجاوز الثمانين وأم محمد تجاوزت السبعين بقليل.

إنها الساعة الثانية ظهرًا.. موعد خروج محمد من العمل ولكنه تأخر قليلًا هذه المرة. يرن الهاتف بعد ساعة حاملًا هذا الخبر:

لقد مات محمد في حادث وهو في طريقه إلى المنزل.

❀ ❀ ❀

البيت الواسع يعود إلى هدوئه المعتاد ولكن هذه المرة كان أكثر هدوءًا من ذي قبل فقد رحلت الأم في إثر ابنها..

إنها حكمة الله فلا تعليق..

صاحبي المتدين

13 آب 2010
شط خليج عمان ـ مسقط
الخامسة مساء

صاحبي متدين إلى النخاع ـ أحسبه صادقًا في تدينه ـ شديد على نفسه.. يصوم أيام الصيف الحارة ويقوم ليالي الشتاء الطويلة وهو حريص على النوافل حرصه على الفرائض.

طيب.. خلوق.. حسن العشرة ـ أحسبه على الفطرة النقية ـ قليل الكلام إلا في ضرورة العبادة والتقرب من الله بكثرة السجود والدعاء والإلحاح على الله، والدعوة إليه.

صحبته إلى مكة فكان نعم الصاحب. كان لا يكف عن الكلام عن الله وفي الله وعندما بلغ منا التعب مبلغه توقفنا في الصحراء حيث البرد القارس لدرجة أني شعرت أن الدماء تجمدت في عروقي.

في فجر اليوم التالي حيث الساعة تشير إلى الثالثة والربع كنت قد انكمشت على نفسي من البرد الزمهرير. في اللحظة نفسها وعندما نظرت من تحت الغطاء رأيت صاحبي قائمًا يصلي في مواجهة رياح الشمال الباردة.

قلت في نفسي: هكذا يفعل الإيمان بأهله وتذكرت قول الحق: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: 9].

هذا هو صاحبي قمة في الإيمان والتقوى والمجاهدة والإخلاص في الدين، كيف لا والدعوة إلى الله حياته وشغله الأول والأخير.

في يوم من الأيام قلت له مشفقًا: هل تعلم يا أخي أن من رحمة الله أنه خلق ملائكة يستغفرون لنا ويدعون لنا؟

قال: كيف؟

قلت: في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: 5].

قال: سبحان الله كأني أول مرة أسمع هذه الآيات.

ثم أردفت قائلًا: إذا كان الله تعالى يخلق مخلوقات تستغفر لنا فكيف هو لا يغفر لنا؟

ولم يرد عليّ واكتفى بالقول: سبحانه هو الغفور الرحيم.

كنتِ أحاول أن أوصل رسالة فحواها أن الله رحيم وأن عليه أن يخفف على نفسه وأن ينتبه إلى أسرته وعياله التي قلما يجلس معها بسبب عبادته المتواصلة وانقطاعه عن الحياة ومشاغلها وكأنه في عالم غير عالمه.

ثم أردفت مؤكدًا على الفكرة: هل تعلم يا أخي أكثر آية بشرتني بالخير وشعرت بالراحة بعد أن تدبرتها؟

قال: ما هي؟

قلت: قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: 47]

إن الله يبشرنا بالفضل وأنا لا أتخيل أن نذهب إلى الله تعالى فنجد غير هذا الوعد المطمئن.

لم يعلق صاحبي على ما قلت وعندما نظرت إليه كانت الدموع تنحبس في عينيه وشعرت أن فكرتي قد وصلت، فتشجعت لأعطيه الكثير من البشائر القرآنية

فقلت: إلا أن آية في الأحزاب هي أكثر ما هدأ قلبي.

قال: أي آية؟.

قلت: قوله تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ...﴾ الآيةِ [آل عمران: 159].

إذا كان الله تعالى يأمر نبيه بالعفو فمن المحال أن أتصور أن الله... ولم أكد أنتهي من كلماتي حتى انفجر الرجل بالبكاء الشديد.

❀ ❀ ❀

بعد فترة وبعد أن هدأ قلت: هذا هو ديننا يا أخي دين يسر ورحمة وأنا منذ تدبرت القرآن شعرت بالراحة ولم أظن بالله إلا الخير.

لم أعد أتصور أنه يعذبني بعد كل هذه التطمينات وأنا موحد مستغفر. ألا توافقني الرأي على أن هذه التطمينات المنتشرة في آيات القرآن كافيه كي تجعلنا نفرح ونسعد.؟

رد قائلًا: نعم ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: 58].

ثم استمر الحوار الجميل فقلت: يا أخي، النار

ليست للمؤمنين بل هي لكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وأنت يا أخي قد أكثرت من ذكر النار والقبر وشدة العذاب فأرعبت قلوبنا. فكما أن هناك عذابًا، هناك أيضًا بشرى وجنة ورحمة وفضل، والبشرى قبل الإنذار فالله ذو رحمة والتطمينات تتكرر في طول القرآن فهيا يا أخي دعنا نفرح ونحتفل لوجود هذه البشائر الإلهية التي لن يرجع فيها سبحانه وحاشاه.

قال وكأنه يصحح لي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 6].

قلت: وبشر المؤمنين.

قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: 9].

والخطاب هنا للمؤمنين وليس للكافرين.. علينا الحذر يا أخي.

قلت: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: 90].

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: 3].

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأعراف: 156].

﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49، 50]. قدَّم الرحمة على العذاب.

قال: لا يمنع الحذر يا أخي لا يمنع. لا بد من الرجاء والخوف.

قلت: لكني يا أخي وبعد كل هذه الآيات لن أخاف النار فحسن الظن يمنعني من ذلك.

قال: الرسول وهو الرسول كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فما بالك بنحن!!.

وشعرت أن الرجل قد غلبني بهذه الجملة الأخيرة.

❀ ❀ ❀

في ذلك المساء وعلى عادتي كنت أتدبر القرآن فوقفت عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾. [البقرة: 237]. والآية تتحدث عن التعامل بين الأزواج وتأملت قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ﴾ وتذكرت

أنه تعالى سوف يعاملنا بالفضل لا بالعدل فهو يأمر بالفضل وسوف يعاملنا به دون شك واغرورقت عيناي من شدة الفرح.

وعندما لاقيت صاحبي بعد أيام وذكرت الآية ردَّ عليَّ قائلًا: هذه الآية شجعتني أن أزيد ساعات قيام الليل إذ كيف أنام عن إله يعاملني بكل هذا الفضل.!

إنسانٌ أحببته

23 حزيران 2010
مسقط ـ شط خليج عمان
السادسة مساء

كان محبًا للحياة إلى أقصى الحدود. .

كنت أرى حيوية الحياة في وجهه الضحوك وفي مزحاته التي لا يهزمها خوف ولا حزن وكأنه لا حياة إلا حياته وكأن الكون ملكه.

كنت أشعر أن هذا الإنسان جبار إذ لم أره يومًا مقطب الجبين. كان دائمًا في فرحة وابتهاج وحيوية. . كان لكل شيء عنده أهمية. . كل شيء كان مهمًا في حياته.

كان يخبرني أن إطار سيارته انفجر وهو على سرعة هائلة إلا أن مهارته حالت دون وقوع حادث فظيع.

كان إذا حضر الطعام لا يأكل كثيرًا والسبب أنه

كان يتكلم طوال الوقت عن الطريقة التي تم بها إعداد هذا الطعام.

كان يتكلم مع الأطفال بفرح غامر..

كان جلوسه طويلًا مع عماته وخالاته وأبناء عمومته..

كان إذا سمع الأخبار لابد أن يضيف تعليقًا وكان تحليله للأخبار منطقيًا جدًا وكنت أستغرب كيف أن الرغبة في الكلام عنده لا يؤثر فيها شيء.

عندما مات صاحبه المقرب، قلت في نفسي: لن يتحدث اليوم أبدًا وما أن سلمت عليه في العزاء حتى أخذ يخبرني أن صاحبه الذي مات كان يخبره بأن موته قريب..

قال لي والعجب في وجهه: كيف عرف الرجل هذا الشيء؟ لابد أنه رجل مبارك.

بعد أيام...

كنت أراه في المجمع التجاري الكبير يشتري حاجاته. كان يشتري بسرعة كبيرة، يمر على الرفوف وهو يترنم بأغنية قديمة. كنت أراه وهولا يراني وعندما وصل إلى المحاسب للدفع بادرته بالسلام وما أن رآني

حتى أخرج كل البضائع التي اشتراها وأخذ يشرح أهمية الأشياء التي اشتراها . . هذه كأس كبيرة مناسبة للشاي الساخن . . وهذا القلم الغالي سوف أهديه إلى عمي الدكتور فأنت تعلم حب الدكاترة للأقلام.

كان يتكلم عن كل قطعة اشتراها وكأنها شيء عظيم وقبل أن يغادر المحل لم ينس أن يدعوني للعشاء فاعتذرت شاكرًا.

❀ ❀ ❀

بعد أيام وصلني الخبر أن الرجل قد مات حرقًا، أما كيف حدث ذلك فهو أن الرجل كان يحاول إنقاذ أسرة جاره بعد أن شب حريق ضخم في المنزل. لقد أنقذ الرجل الأطفال السبعة ولكنه لم ينجح في إنقاذ الأم فمات حرقًا وهو يدخل البيت لإنقاذ الأم.

قلت في نفسي: إن سبب إقدام الرجل على تلك المجازفة هو ليس حبه للموت بل حبه للحياة. كان حب الحياة السبب في التضحية فلقد أحب الرجل الحياة وأحبها لغيره فكان ما كان.

تذكرت الرجل ومزحاته معي . . كان يضحك لدرجة احمرار وجهه من شدة تدفق الدم.

قال لي يومًا: هل تعلم أن ابني الصغير سرق محفظتي وأعطى المال لأمه كي تشتري له لعبة!!.. في بيتنا لص!!.. وأخذ يضحك بشدة.

أذكر أني رافقته إلى السوق وكان كل من يرانا يسلم على الرجل.. كان الكل يعرفه ويمازحه.. أصحاب الحوانيت الصغيرة والمشترون والباعة.. الكل كان يمازحه ويأخذ بيده وكان هو يضحك مع الكل.

وعندما تفكرت في سبب هذا الحب لهذا الرجل، وجدت أن حب الرجل للحياة جعله محبوبًا من الكل.

إن الناس يحبون من يحب الحياة ويكرهون من يكرهها.

فتاة طيبة لا تستطيع الكلام

12 نيسان 2006
مدينة هيماء

خَلُوقةٌ.. محتشمة متفوقة في الدراسة.. ذكاء حاد.. وآية في الحسن والجمال.

هذه صفات الطالبة سعاد ولكنها بعد كل ذلك تعيسة جدًا لدرجة الشفقة.

السرُّ هو أنها تعاني عقدة في الكلام فهي تُتَعْتِع أثناء الكلام لدرجة أنها لا تستطيع أن تتكلم. وهي مشكلة تحرجها كثيرًا أمام صديقاتها وأمام الطلاب وأمام الدكاترة.

أفضل حل لها أن تكون صامتة دائمًا هكذا اقتنعت في نفسها فمن الخير أن لا تفضح نفسها وتجعل هذا السر بينها وبين نفسها.

لكنه سر ما لبث أن ينكشف في مادة «الإلقاء» فكل طالبة ملزمة أن تتكلم مدة نصف ساعة في مادة

تختارها، وكم الخوف الذي حلَّ بها عندما تعلم أن دورها في الإلقاء قد اقترب، ولهذا فهي تفضل أن تكون أول من يلقي كي ترتاح وتقلل أيام الخوف مع أن هذا يعطيها وقتًا أقل من الطلبة الآخرين ولكن ما عساها أن تفعل فهي تتحمل أن تحصل على درجة ضعيفة في هذه المادة من أن تعيش أيامًا وليالي من الخوف والضيق.

حمدت سعاد ربها أن المواد التي تتطلب الكلام قليلة جدًا.

صديقاتها كن يَغرْنَ من ذكائها ويَغرْنَ أكثر من جمالها الأخَّاذ وكانت كل واحدة تتمنى لو ألقي شبه سعاد على وجهها. وكانت سعاد تقول في نفسها خذن جمالي وأعطني لسانًا يستطيع التعبير.

كانت مشكلة عقدة اللسان تأخذ حيِّزًا كبيرًا من وقت سعاد لدرجة أنها قررت أن لا تفكر في هذا الموضوع أبدًا وأن تتعوذ من إبليس. فقالت: يجب عليَّ أن أرضى بما قسمه الله لي ولا أحزن من هذا الموضوع إطلاقًا. هكذا أقنعت نفسها.

❀ ❀ ❀

في البيت وعندما تجتمع أسرة سعاد في قاعة الجلوس يخيم الصمت على كل الأسرة، فسعاد تودُّ أن تحكي قصص الجامعة والنظريات الممتعة التي درستها ولكنها لا تستطيع التعبير بسبب تعتعتها الشديدة.

الأب بطبعه لا يحب الكلام والأم كذلك.

الأخوة لا توجد عندهم مشكلة في الكلام ولكنهم لا يحبون الكلام في حضرة الأب وكانت العلاقات فاترة بسبب الروتين والتحفظ المبالغ فيه بين الأب والأبناء.

كانت سعاد تودُّ من كل قلبها أن تحوِّل البيت إلى ضجيج ومرح مرة مع أبيها ومرة مع أمها ومرة مع الجيران. لكنها لا تستطيع. .مسكينة أنا والله ـ هكذا تقول في نفسها ـ عمري الآن واحد وعشرون وإذا عشت إلى سن الستين فهذا يعني أربعين عامًا من الضيق والخوف والحزن.

تدخل سعاد غرفتها وهي أقدس مكان بالنسبة إليها حيث تطرح جسدها على السرير الوفير وتبكي حالها دون أن يعلم أحدٌ. وقبل الخروج تتأكد أن دموعها قد جفت حتى لا يُكْشَف أمرها.

في الشتاء حيث الليالي الطوال. كانت ليالي

مناسبة لسعاد كي تفكر في المخرج من هذه المعضلة التي شلَّت حياتها وحوَّلتها إلى جحيم.

انطرحت على سريرها وأخذت تنظر إلى سقف حجرتها وهي تفكر في الحل..

لم تجد أحدًا يعمل على حلٍّ المشكلة فالطبيب النفسي قال لها: إن سبب المشكلة هو خوفها، ولكنها أخبرته أنها تخاف من تعتعة لسانها فهو مصدر الخوف والطبيب مصرٌّ على أن التعتعة سببها الخوف.

وأخذت تفكر.. في الحل.؟

الله.. لا أحد غيره يخرجني من هذا الهم وهذا النقص. سوف أصلي له وأطلبه أن يجب دعوتي.

ولأول مرة تسحب سجادة الصلاة من الرف وتصلي بصدق..

ربي احلل عقدة من لساني.. ربي خلصني من هذه المشكلة..

دخلتها السعادة أثناء الصلاة وظنت أن دعاءها قد أجيب وهي تقول ألم يقل الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: 62].

طوت سجادة الصلاة وخرجت وهي مصممة على

أن تحكي لأمها بعض القصص وبدأت الحديث وما أن بدأت حتى انعقد لسانها وبصعوبة اختصرت القصة ولجأت إلى الصمت. سألتها أمها عما قالت وكانت سعاد ترد على قدر السؤال ونهضت وعادت إلى حجرتها وهي تبكي.

فكرت في كل شيء.. في الحياة.. في الموت. في التاريخ.. في الله.. في الآخرة.. في المستقبل.. في الصمت.. في المشاهير.. في أي شيء.

وقفت وهي تنظر إلى وجهها في المرآة..

كم أنت جميلة يا سعاد!. قالت لنفسها ذلك وهي تبكي..

مضت نصف ساعة وهي متخشبة أمام المرآة.. ثم صرخت: ربي يا قادر على كل شيء احلل عقدة من لساني..

ثم تذكرت موسى النبي وأنه كان يعاني المشكلة نفسها ففرحت بأنه يجمعها عامل مشترك معه ثم قالت: ولكنه دعا بالخلاص وقد أجيبت دعوته، فأصرَّت على الإلحاح على ربها.

سحبت سجادتها وبدأت بالصلاة والدعاء مدة ساعة كاملة.

دخلها الحبور بعدها وزال الخوف عنها وشعرت أنها ترغب في الكلام.

وفعلًا تحسنت كثيرًا مع وجود شيء من العقدة الذي يمكنها أن تسيطر عليه.

ومن يومها تغيرت حياة سعاد وتغير تفكيرها.. لم تعد تفكر كثيرًا في مكياجها ولا في فستانها بقدر اهتمامها بإرضاء ربها الذي بدونه سوف تعود إلى التعتعة التي جعلت حياتها جحيمًا خلال الأعوام الماضية.

وفاضت عيناي شفقة

25 نيسان 2011
ميلان ـ إيطاليا
11 مساء

رأيتها منهمكة بمشاغل الحياة فقلت لها مشفقًا: لا تغوصي في الحياة إلى هذا الحد فهذه الحياة ليست كل شيء فما هي إلا محطة عبور.

ردت بعفوية: أعرف ذلك ونحن أهل بادية على النية ـ والله أعلم بالنيات ـ لا نفعل الحرام ولا نسرق ونهدي الجيران ونصلي ونصوم وإن كانت صلاتنا فيها نقص ولكن الله غفور رحيم.

قلت: صدقتِ إن الله غفور رحيم والمهم النية.

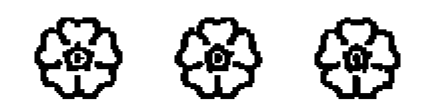
في ذلك المساء رأيتها بكل جدية في مشاغل الحياة على عادتها على الرغم من ضعف بدنها.. رأيتها تقف الساعات الطوال وهي تنتقل من عمل إلى عمل في بيتها الواسع.. أعمال كثيرة لا تنتهي إلا لتبدأ

من جديد في دورة يومية دائمة. كنت أراها أعمالًا لا تستحق ذلك الجهد المضني وكانت تقول لي كلما سألتها: هي مهنة أمهاتي الأُوَل وأنا أشعر بالراحة وأنا أقوم بهذه الأعمال.

قلت لها مشفقًا: خففي على نفسك وليكن شغلنا ذكر الله والآخرة.

قالت دون تردد: الأهم النية وإني أحسب نفسي دومًا من أهل الجنة ليس لكثرة أعمالي ولكن بسبب رحمة الله الواسعة فنحن على النية نوحد الله ونصوم الشهر ونصلي مع تقصير لكن الله غفور رحيم.

قلت: صدقتِ فالمهم النية.



في المجلس الواسع كانت وحدها فقلت لها حدثيني عن أمهاتك الأُوَل.

قالت باهتمام: كانت أمهاتي الأُوَل يتصدقن في السرِّ. يعملن من الفجر إلى آخر الليل دون تذمر وعلى الرغم من الفقر والجوع كانت أمهاتي يوزعن المتيسر من الطعام على عابري السبيل.

كانت أمهاتي يوزعن الطعام خلسة على الجيران

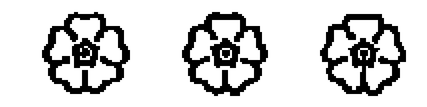
وعندما يغادر الضيف بعد استراحة كانت أمي تضع ما تيسر من الطعام في جرابه دون علمه وكان رب الأسرة يلوم أمي على هذا العطاء وكانت ترد عليه: هم محتاجون يريدون رحمة. هكذا كانت أمهاتي الأُوَل.

ثم قالت مكملة الحديث: هل تعلم أن النور كان يُرى من قبر أمي؟

قلت لها: هذا طبيعي لكل محسن متصدق يؤمن بيوم الحساب.

قالت: أمهاتي بالرغم من قلة العلم كُنّ على هذا الخلق واللطف بالناس وكن على النية.

قلت: صدقتِ فالأهم النية.



في يوم من الأيام.. على حين غفلة من نفسي كان الحزن والضيق يعصفان بي عصف الرياح بالأغصان، ففكرت في الأسباب فلم أجد سببًا إلا ضيقي من الحياة وشعوري بأني لم أضف شيئًا في حياتي فأنا لست عالمًا ولا داعيًا ولا مليونيرًا أساعد المحتاجين ولا طبيبًا أعالج المبتلين. شعرت بالضيق وتساءلت ما هو علاج هذا المرض اللعين فتذكرت قول

الحق تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] أي القرآن فأقبلت على المصحف متدبرًا مجتهدًا في فهم آياته، وفعلًا تراجع الضيق إلى أدنى مستوياته وشعرت بشيء من الراحة النفسية وقلت في نفسي: كيف يحزن المؤمن وعنده مثل هذا الخير؟

بعد أيام..

عاد الضيق على عادته معي، فتذكرت الآية السابقة فأقبلت على القرآن متيقنًا أنه شفاء لما في صدري من ضيق حتى إني خصصت وقتًا يوميًا للتدبر، وفعلًا مع الأيام ومع هذا اليقين تراجع الضيق إلى أدنى مستوياته ولم يعد الضيق شجاعًا معي على عادته في دابر حياتي التي كان يشلّها شلًّا كبيرًا ويمنعني من عمل أي شيء وحمدت الله على أن هداني إلى مثل هذا العلاج.

في تلك الليلة قلت لها: إن القرآن فيه الشفاء وفيه الراحة.

قالت: يا حظ من تعلم القراءة فيقرأ الختمة (تقصد القرآن) أما نحن فأميون.. الله يلطف بنا.

قلت لها مواسيًا: صدقت فالذي لا يستطيع

القراءة فاته خير كثير ولكن الأهم النية.. تكفيك النية يا أماه.

وبعد أن خلوت بنفسي تذكرت نعمة العلم ونعمة تدبر القرآن الذي فيه شفاء والذي حرمه الكثير من الأميين وتذكرت أمي وفاضت عيناي شفقة..

ما بين الإمهال والإهمال

21 تموز 2009
الغبرة الشمالية ـ مسقط
العاشرة مساء

يقول الرئيس: إنه من الحكمة اعتبار السلام خيارًا استراتيجيًا وحيدًا مع الدولة العبرية.

قالوا له: إن إسرائيل هددت بضرب بلده.

ردَّ الرئيس بغضب: إن الدولة العبرية لا تستطيع أن تقوم بذلك فنحن دولة لنا ثقلنا والدولة العبرية تقول ذلك لأن الحكومة هناك مقبلة على انتخابات للاستهلاك المحلي فقط.

على الأرض فإن آخر الأنباء تقول: إن إسرائيل تدك المناطق السكنية بالصواريخ والطائرات وقد سقط مئات القتلى أغلبهم من الأطفال والنساء.

بعد أيام يخرج الرئيس في مؤتمر صحفي مؤكدًا أنه على الجانبين اللجوء إلى طاولة الحوار. يقصد الطرف الإسرائيلي والطرف الفلسطيني.

يعود الرئيس إلى مسكنه الخاص ويتابع التلفاز. صور الفضائيات تبين أن إسرائيل مستمرة في قصفها لمساكن المدنيين. تقوم التظاهرات في بلد الرئيس مطالبة بتدخل مباشر لوقف المذابح ثم يتدخل الجيش لفض تلك التظاهرات الحاشدة. في اليوم التالي يطالع الرئيس الجرائد وتقع عيناه على مقال لأحد الكتاب الذي يدعو إلى قطع علاقة بلده مع الدولة العبرية.

يسخر الرئيس في نفسه قائلًا: لأجل هذا أتى بي الله رئيسًا عليك كي أحميكم من جهلكم.

يستمر العدوان الصهيوني وتتناثر أشلاء الأطفال في الطرقات وتدفن النساء في بيوتهن وشاشات التلفاز تتفنن في إظهار تلك المشاهد فالدولة العبرية تحترم الإعلام والمراسلين ولا تمانع من نشر تلك المشاهد الدامية.

يستمر القتل أسابيع الأمر الذي دفع العرب إلى عقد قمة طارئة.

ينعقد الاجتماع بسرعة ويبدأ الرئيس بكلمة مختصرة داعيًا فيها الطرفين للعودة إلى الحوار والتشبث بالحكمة. الرؤساء الآخرون يختلفون معه في الصياغة ويرون أنه من العدل دعوة إسرائيل فقط إلى وقف

العدوان لكن الرئيس يرى أن الكل له الحرية في ما يقول.

أثناء الاجتماع تقتل إسرائيل عشرات المدنيين.

في ختام الاجتماع تؤكد القمة على أن خيار العرب الوحيد هو السلام وأن على إسرائيل استغلال الفرصة ووقف العدوان فورًا حفاظًا على استقرار المنطقة. إسرائيل تردُّ عبر وزارتها الخارجية أنه طالما السلام هو الخيار الوحيد فإنها أيضًا تؤمن بذلك ولكنه يجب عليها أن تصفي حساباتها مع المقاومين. يعود الرؤساء إلى بلدانهم ويقوم الرئيس بوداعهم رئيسًا رئيسًا ثم يرجع آخر المساء منهكًا.

في المساء يطالع الرئيس أخبار القصف الإسرائيلي ثم يغلق التلفاز ويدخل في نوم عميق.

في الصباح الباكر يستقبل الرئيس الرئيس الزائر من أوروبا ثم يدليان بتصريح مقتضب يؤكدان فيه ضرورة الحوار لحل الخلاف الفلسطيني الإسرائيلي لأن التصعيد في رأي الرئيس سيؤدي إلى تقويض الأمن والاستقرار في المنطقة برمتها.

في الجانب الآخر فإن الدولة العبرية تواصل

قصف المدنيين بالطائرات كما يجري تطويق كامل لمخيم يوجد به عشرات المقاومين.

يستمر حصار المخيم أيامًا والقنوات الفضائية تنقل أولًا بأول ما يجري هناك.

الأخبار تتحدث عن وجود أكثر من ثلاثمائة مقاوم داخل المخيم والسلطة تناشد الدول العربية والأمم المتحدة ضرورة التدخل لمنع حدوث مجزرة في المخيم.

يستمر الحصار أسبوعًا آخر ثم تستطيع إسرائيل دخول المخيم بعد أن قتلت معظم المتحصنين وتنتهي قصة المخيم من القنوات الفضائية.

الرئيس مشغول جدًا في هذه الأسابيع فهو مقبل على انتخابات حاسمة ولفترة أخيرة فقد أمضى أكثر من نصف قرن في الحكم. بعد فرز الأصوات يعلن فوز الرئيس بفترة أخرى هي الأخيرة وذلك بسبب تقدم سنه.

في المقابل تستمر الدولة العبرية في حصار الفلسطينيين، الأمر الذي دفع الدول العربية إلى الاجتماع للرد على الصَّلَفِ الإسرائيلي.

ينعقد المؤتمر ثم يختتم بأن السلام هو الحل

الوحيد الذي ارتضته جميع الدول العربية وأنه على إسرائيل استغلال الفرصة.

بسرعة مفاجئة ترفض إسرائيل المبادرة العربية وتؤكد أنها لن توقف هجماتها حتى تحقق أهدافها.

وفي مؤتمر صحفي آخر بعد القمة يُسأل الرئيس عن الرد القادم للعرب بعدما رفضت إسرائيل المبادرة.

لم يفكر الرئيس طويلًا فقال: إن العرب قد أخذوا قرارهم وهو السلام وعلى الإسرائيليين أن يستغلوا الفرصة وأن العنف يولد العنف.

في الأراضي الفلسطينية تسيطر إسرائيل على أراضٍ حول القدس الشرقية وتتم الموافقة على بناء آلاف المستوطنات.

تقترب فترة الرئيس من الانتهاء وتستعد الدولة لانتخاب رئيسها الجديد. وقبيل انتهاء فترة الرئاسة بستة أشهر يموت الرئيس بالسكتة القلبية المفاجئة حيث كان صحيحًا لا يشكو من شيء وكان يخبر طبيبه الخاص أنه يشعر أنه سيعيش عشرين سنة أخرى.

وفي عالم الأموات يُسأل الرئيس الراحل عما

فعله لإيقاف قتل الأبرياء في فلسطين ولا أدري كيف أجاب!

أما على مستوى الدنيا فقد تم انتخاب رئيس جديد من حزب الرئيس المرحوم وبنسبة 99%.

تهنّىء إسرائيل الرئيس الجديد وتتمنى له التوفيق يرد الرئيس الجديد التحية مؤكدًا أن السلام هو الحل الوحيد للقضية الفلسطينية. .

وتستمر المهزلة. .

حياة خالية من الإنجازات

14 كانون الأول 2010
ساحل الشويمية - جنوب عمان

قلت له: يبدو أنك راضٍ عن نفسك فالضحكة لا تفارق شفتيك.

قال مبتسمًا: كفاك تعقيدًا فالحياة منحة من الخالق ولأنها منه تعالى فاستمتع بها.

قلت: إني أحاول ذلك ولكن الضيق والصمت هما طبعي.

قال: إذا كان طبعك هكذا ولا يمنعك من فعل الخير فكن على طبعك.

قلت: الأنبياء والرسل جاءوا وذهبوا ولم أرهم.

قال: ستراهم إذا تتبعت خطاهم.

قلت: قرأت عن العلماء العظام الذين أفنوا حياتهم في محراب العلم فورَّثوا علمًا عظيمًا، وعندما

تذكرت حالي وحياتي التافهة ضاقت نفسي وشعرت بتفاهتي.

قال: كلٌّ ميسر لما خلق له وإذا لم تكن عالمًا فكن متعلمًا وأقبل على كتبهم، فكتابٌ قرأته كأنك ألّفته.

قلت: حتى لو أقبلت على كتبهم فلن أصير مثلهم.

قال: ذلك الفضل من الله هو من يوزِّع الأرزاق، فارض بقسمته تكن أسعد الناس.

قلت: رضيت بقسمته.

ثم أردفت سائلًا: هل سمعت بنيوتن؟.

قال: لا.

قلت: هو عالم انجليزي أبدع في علم الفيزياء والرياضيات، وله الكثير من القوانين التي خدمت البشرية. . لماذا لم أكن أنا من أخترع هذه القوانين؟.

قال: لأنه اجتهد والظروف كانت مهيأة له. الله هو من يُهيئُ الظروف للخلق حسب حكمته وعلمه، وأيضًا مع وجود اجتهاد الشخص.

قلت: هل سمعت بأديسون؟

قال مبتسمًا: عالم آخر تريد أن تكون مثله!!.

قلت: هو من اخترع المصباح وغيره الكثير من الاختراعات. تمنيت لو كنت أنا مكانه.

قال: لكن الله لم يشأ. خيرها في غيرها.

قلت: كيف تسعد وحياتك عادية خالية من الإنجازات؟

قال: هل لو بكيت أكون قد حققت هذه الإنجازات؟

قلت: أقله تشعر أن حياتك ليست بتلك الأهمية كما كانت حياة هؤلاء العظام.

وشعرت أني قللت من شأنه ولكنها صراحتي ومعرفتي الطويلة به التي سمحت لي بذلك.

قال ببرود غريب: لو كانت حياتي تافهة كما تظن لما خلقني الله، فالله لا يخلق التافه.

كان رده هذا جميلًا إذ شعرت وكأنه أعطاني العلاج الذي أبحث عنه فحياتي ليست تافهة لأن الخالق لا يخلق التافه.

قلت: صدقت.. الله لا يخلق التافه.

وبعد بُرهةٍ قلت مستدرجًا : لكني لم أقدم شيئًا في هذه الحياة، لذا أشعر بتفاهة حياتي.

قال: ربما يأتي من نَسْلِك العلماء العظام والمخترعون.

قلت: ربما.

ثم أردفت: هل تعلم أن الرغبة في الكلام اختفت حتى أصبحتُ عبئًا على من حولي؟

قال: كن على طبعك.

قلت: الخلق ملُّوني.

قال: لا تحرص على حب الخلق لك تسعد.

قلت: لقد مللت نفسي حتى بكيت.

قال: اسجد واقترب.

ثم ساد الصمت قليلًا وقام صاحبي يودُّعني وبقيت جالسًا في المقهى أفكِّر في ما قاله، وبعد ساعة كانت الدموع تنساب على وجنتي من حياة خالية من أي إنجازات..

كيف لا أبكي؟!

22 نيسان 2011
ميلان ـ ايطاليا ـ 8 مساء

حال الدول العربية ومعظم الدول الإسلامية يُدمي القلب ويجعل العيون تبكي دمًا. المسلمون الأوائل الذين تتلمذوا على يد الرسول الخاتم كانوا القدوة والشعلة التي حملت دين الرحمة إلى الجهات الأربع.

كانت العدالة والعلم والأخلاق والرحمة هي ما تحمله قلوب العرب الذين أسلموا لله وللدين الجديد الذي كانت فحوى رسالته الرحمة بالإنسانية جمعاء. الرحمة كانت الغاية والمقصد لهذا الدين، هكذا فهمه الصحابة، وهكذا فهمته القيادة الحاكمة لتلك الدولة الإسلامية الجديدة فالرسول القائد كان عنوان الرحمة وكانت الرحمة والعدالة وكرامة الإنسان هي ما حرصت عليه القيادة الراشدة زمن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ رضي الله عنهم ـ بالرغم من بعض الأخطاء التي حدثت

في خلافة عثمان وبعدها من اقتتال الصحابة. إلا أن عدالة القائد ورحمته بشعبه وإنصاته لهم كانت السمة الأبرز لتلك القيادة الراشدة التي انعكست على شكل انتصارات متتابعة على القوى الطامعة المتمثلة في الروم والفرس والتي كانت تضع على رأس أولوياتها قتل هذه الدولة الإسلامية الناشئة ليس بسبب قوتها العسكرية ولكن بسبب المعاني الجميلة التي تبشر بها والتي تتلخص في الرحمة والعدالة والمساواة وأنه لا فرق بين الناس إلا بالتقوى وأن الحكم بالشورى وبالعودة إلى الشعب وأنه لا ظلم ولا محاباة ولا تمييز إلا بالكفاءة والقدرات. هذه هي الأسلحة التي كان يحملها الدين الجديد والتي كانت أسلحة ذات دمار شامل على رؤوس تلك القوى الظلامية التي استغلت الناس حيث لا عدل ولا رحمة ولا حرية.

عندما اصطدمت تلك الدول الظلامية بدولة الإسلام الفتية لم تلبث تلك الدول إلا أن تقهقرت ليتم تحرير ملايين الشعوب من أغلال الظلم والاستبداد والدكتاتورية وليتم تثبيت المبادئ الأساسية التي جاء بها الدين الجديد والمتمثل بالرحمة والعدالة والحرية للجميع دون تمييز.

في ظل هذه المبادئ الأساسية شب العلم وكبر

ووجد العلماء القيادة الراعية لهم حيث البيئة العادلة والاحترام لكل مجتهد والأخذ بيد كل مثابر وكانت النتيجة أن تصدر العلماء المسلمون العالم باختراعاتهم المتنوعة فحدث التفوق في شتى مجالات الطب والفلك والحساب والجغرافيا وغيرها.

وبعد ألف وأربعمائة عام أجدُ أن العالم الإسلامي والعربي قد أمسى أوهن العوالم وأمسى التخلف الصفة التي يوصف بها هذا الجانب من العالم (العالم النامي).

عندما تفكرت في السبب وجدت أن المبادئ الأساسية التي هي روح الدين الإسلامي والمتمثلة في الرحمة والعدالة والحرية والعلم قد تراجعت، عندئذ تنفست الصعداء إذ أقله قد عرفت السبب وعرفت أن الخلل ليس في الرسالة بل في متبعي الرسالة.

وبعد قليل من التأمل كانت عيناي تذرفان الدموع عندما تذكرت العرب الأوائل الذين شرَّفوا التاريخ بأعمالهم ولهم الشرف الأكبر يوم اللقاء الأكبر يوم يقوم الناس لرب العالمين.

فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا. ولكن هيهات فتلك مِنَّةٌ من الله وفضل فاز بهما السابقون الأوائل.

على حافة الانتحار

28 نيسان 2011
ميلان ـ ايطاليا ـ التاسعة مساء

ما أصعب الحياة بالنسبة إلى أولئك الذين لا يجدون ما يقتاتون به، وما أشد قسوة ذلك الإحساس، وأنت تقف عاجزًا عن توفير الطعام واللباس ومتطلبات المدرسة والعلاج لأسرتك.

إنها الجحيم بعينها؛ إذ الهم الدائم والذل المستمر والشعور بالمهانة وقلة الحيلة؛ لذا فإنه من السهل على الشيطان أن يقترح على هؤلاء المبتلين الانتحار كأفضل وسيلة للخلاص، وما أكثر أولئك الذين لم يصبروا ولم يتحملوا ذلك الوضع المرير ففضلوا الانتحار بشرب السم أو بالشنق أو برمي أنفسهم من أعالي البنايات أو برصاصة في الرأس والرحيل عن هذه الحياة إذ لم يجدوا المعين لهم على همومهم.

يقينًا لا يقدم على الانتحار إلا يأسًا من رحمة الله؛ لذا فإن شفقتي على هؤلاء مضاعفة؛ فهم فروا من حياة قصيرة ذاقوا فيها صنوف العذاب، ثم انتقلوا إلى حياة سرمدية، ـ الله أعلم بحالهم فيها ـ فالأديان السماوية لا تجيز الانتحار وما أكثر أولئك الذين يعانون الفقر والحاجة، فالبيت ضيق والبنات قد بلغن سن الزواج وطلباتهن في ارتفاع والأولاد الذكور قد صاروا شبابًا ولا يجدون ما يعملون، والأب الكادح يقف عاجزًا يموت في اليوم أربعًا وعشرين على عدد الساعات الطويلة.

وما أكثر ما يخرج الأب فيها إلى سطح المنزل المتهالك ليخلو بنفسه باكيًا على حاله وحال أبنائه يشكو إلى الله قلة الحيلة والجوع. إنه يبيت في بعض الأيام طاويًا حتى يشبع عياله وكم زار من يظن أنهم أصحابه ملمحًا إلى حاله البائسة ولكنهم لا يفهمون، وإذا فهموا لا يبادرون إلى المعونة، وإذا أعانوا أعانوا النزر اليسير.

إن الحاجة إلى الناس أمرُّ المرارات وأشقها وأذلها ولكنه الفقر والحاجة ووجوه العيال الحزينة تدفع المحتاج إلى التعرض للناس واستعطافهم، وإذا كانت

الدول الغنية قد انتبهت إلى هؤلاء النوع من الأسر فكم من الدول الفقيرة التي لم تستطع مراعاة هذه الأسر التي سحقها الجوع والفاقة.

إن تقارير الأمم المتحدة تشير إلى أن الفقر في ازدياد وأن الفجوة بين الأغنياء والفقراء في اتساع فأسعار الغذاء الأساسية في صعود وقيمة النقود في هبوط ومعاني الرحمة والشفقة في تراجع - إلا من رحم ربي - والغريب أن زكاة مليارات الأغنياء تكفي للتخلص من ظاهرة الفقر ولكن هذا لا يحدث. هل لأنهم لا يزكُّون.؟ لا أدري والويل لهم إن كانوا لا يزكون.

وبالرغم من أني لم أشعر بالحاجة في حياتي حتى الآن - والحمد لله - إلا أني أحاول أن أشعر بحال هؤلاء المبتلين فأسارع إلى الأخذ بأيديهم ما استطعت إلى ذلك سبيلًا فأسعد عندما يسعدون وأبكي عندما يبكون.



سبب الكآبة

4 كانون الثاني 2009
التاسعة صباحًا
حقل نمر النفطي ـ جنوب عمان

القصير لم يرده الله طويلًا، والأسود لم يرده الله أبيض، والقبيح لم يرده الله جميلًا، والمجنون لم يرده الله عاقلًا، والأبكم لم يرده الله ناطقًا، والأصم لم يرده الله سميعًا، والأعمى لم يرده الله مبصرًا.

لذا فسيبقى القصير حزينًا لو أراد أن يكون طويلًا، وسيبقى الأسود تعيسًا لو أراد أن يكون أبيض، وسيظل القبيح حزينًا لو أراد أن يكون جميلًا، وسيبقى الأخرس حزينًا لو أراد الكلام، وسيبقى الأصم تعيسًا لو أراد أن يكون سميعًا، وسيظل الأعمى تعيسًا لو أراد أن يكون مبصرًا.

هو الله الذي لو أرادني طويلًا لخلقني طويلًا، ولو أرادني جميلًا لخلقني جميلًا، ولو أرادني فصيحًا

لفعل ولن يتغير هذا حتى الموت؛ لأن الله قد شاء ذلك في الأزل والله ذو مشيئة واحدة.

فإذا زارك الضيق فاعلم أنك أردت ما لم يرده الله وهنا يبدأ الضيق.

لذا فمن الخير لك أن تقتنع في أعماقك بما أنت عليه فهي سر السعادة الحقيقية.

إنها القناعة التي طالما تغنَّى بها الحكماء الأولون واللاحقون وأوصت بها الأديان. القناعة والرضا بما أنت عليه تقتل كل الأمراض النفسية من حزن وخوف وشعور بالنقص.

القناعة فعلًا كنز عظيم خصوصًا إذا ما تم ربطها بأن موزع الأرزاق الله، والله عادل في ما يفعل والذي أُعطي القناعة فقط أعطي خيرًا كثيرًا، فهي من الحكمة، والله يقول: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269].

والله يقول كذلك: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: 32].

إذًا، كي تكون سعيدًا ارض بما أنت عليه، ولا تتمنَّ كثيرًا ولا تطلب كثيرًا تسعد كثيرًا.

ربع ساعة «حداد» على موت الدنيا

22 كانون الأول 2009
الثانية ظهرًا
الخوير - مسقط العاصمة

الدنيا . .

مجرد محطة وقنطرة إلى عالم الغيب، الذي أشعر أنه يهزأ بنا بسبب عظمته وضآلة عالمنا.

ومع أن الكل يعرف أن الدنيا مجرد محطة عبور وأن الموت ينتظرنا على عتبة الباب، إلا أننا مقبلون على هذه الحياة بشغف واهتمام وكأنه لا حياة إلا هي.

والسر في عدم الاكتراث للموت هو «الزينة» التي وضعها الله لحكمة وهي حتى يكون الاختبار صعبًا.

يقول الله في قرآنه الخالد: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: 7].

والسبب الآخر في عدم التفكر في الموت وقصر الحياة هو «الضجيج» الذي لا يعطي المرء الفرصة للتفكر في حقيقتها.

فالفضائيات تبث الفتنة بأنواعها وأخبار القتل والحروب لا تتوقف والمؤتمرات دائمًا معقودة وأخبار كوارث الطبيعة مستمرة، ويا ليتهم يقولون: إن الله أرسل الفيضانات، وإن الله فجر البراكين حتى نرجع الأمور إلى حقيقتها، ولكنهم يقولون: إن الطبيعة قد غضبت.

ضجيج مستمر يمنع الإنسان من أن يفكر بهدوء.

حتى في البيت، فإن الضجيج هو الوضع الطبيعي للأسرة. الأب منهمك في عمله والأم منهمكة في شؤون المنزل والمناسبات المختلفة التي تمنع التفكير في حقيقة الحياة.

حتى الموت أصبح مناسبة للضجيج حيث مجالس العزاء والاستقبال والمجاملات والمرحوم كان طيبًا وكان شهمًا وكان وكان. . .

والحل بسيط في كشف حقيقة الدنيا وتعريتها.

فمن يرد أن يفضح الدنيا ويسخر منها، ما عليه

إلا أن ينصت لها ويخصص حتى ولو ربع ساعة يوميًا يقوم فيها فقط بشيء واحد.

هل تعلمون ما هو؟

إنه الصمت التام والتفكر في حقيقة هذه الحياة.

صدقوني..

إن هذه الدقائق ستكون بما يشبه دقائق صمت حداد على روح الدنيا، إنك إن فعلت فقد فضحتها وكشفتها على حقيقتها.

وسوف تقول لك الدنيا: «وهل أنت فاضٍ كي تصمت ربع ساعة»! وبهذا تستمر الدنيا في هوايتها المفضلة.. الغواية.



مبدأ يضمن السعادة المستدامة

10 نيسان 2010
حقل نمر النفطي ـ جنوب عمان
العاشرة مساء

الله تعالى يحمد نفسه على أنه خلق الخلق وهذا الحمد يعني أن الخلق كان ضرورة لا بد منها وإلا لما حمد الله تعالى نفسه على أنه خلق الوجود وما فيه.

يقول الله تعالى في القرآن: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾... الآية [الأنعام: 1].

أقول هذا الكلام لأن نفسي أتعبتني طويلًا في السؤال الفلسفي التالي: أليس من الخير لنا كبشر أن لا يخلقنا الله ـ أصلًا ـ فننجو من السؤال والحساب ومن احتمالية العذاب الدنيوي والأخروي؟ وإذا كان لابد من الخلق أليس من الرحمة أن يسكننا ربنا الجنة دون المرور بمحطة الدنيا وشقائها وشهواتها؟

والجواب بعد طول تفكير كان من آيات القرآن

نفسه، فالقرآن كلام الله المباشر والله تعالى في القرآن يمنُّ علينا بأنه أوجدنا من العدم فيقول مثلًا في سورة البقرة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ . . . الآية [البقرة: 28]. أي إن الخلق نعمة في ذاته بغض النظر عن الظروف التي تصاحب الإنسان في هذه الحياة وفي الحياة الآخرة، بمعنى أن الله يمنُّ علينا بالحياة حتى لو كان المصير النهائي هو النار وإلا فإنه من الرحمة ـ قطعًا ـ أن لا يخلق الله أصحاب النار. القرآن يخبر: إن مجرد الخلق رحمة، وهذا من الأسرار التي لا سبيل إلى فك طلاسمها إلا بعد الموت والاطلاع على فصول المشيئة الإلهية الشاملة التي لا نعلم من بنودها إلا النزر اليسير واليسير جدًا، وما أوتينا من العلم إلا قليلًا كما يخبرنا هو سبحانه. وطالما كان خلقي رحمة فإن جميع ما ألاقيه في هذه الحياة هو رحمة لأن الله يخبر أن الخلق ـ نفسه ـ كان رحمة وأنا أصدق كلام ربي. لذا فأنا سعيد دائمًا، أقله في هذه الحياة القصيرة.

لو يعلم الظالمون

14 شباط 2010
حقل مرمول النفطي ـ جنوب عمان

لو يعلم الظالمون ما ينتظرهم من أهوال عند ساعة الموت وما بعدها لسارعوا إلى التوبة ورجعوا إلى ربهم نادمين مستغفرين ولكن ما بعد الموت غَيْبٌ، ومن يمت لا يرجع فيخبر بما رأى.

والمشكلة تتلخَّص في عدم استحضار أنَّ هناك حياة قادمة لها قوانينها ونظامها وأن هذه الحياة الموعودة تبدأ فورًا عند الموت. يقول الحق في قرآنه: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32].

وعن المجرمين يقول: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (51)﴾ [الأنفال: 50 ـ 51].

إذًا النعيم والعذاب يبدآن فورًا بعد الموت بنص هذه الآيات.

وربما السبب في عدم استحضار هذه الحقيقة ـ حقيقة الحياة بعد الموت ـ هو سبب آخر وهو عدم التفكر في حقيقة أكبر وهي وجود إله.

سيقول قائل: إننا نؤمن بهذه الحقيقة، فالله هو واجب الوجود، ولكني أقول: كلنا نقول بذلك، ولكن لم نصل بعدُ إلى فهم تلك الحقيقة المطلقة. إذ كيف ندَّعي ذلك ومع ذلك نغفل عنه بل نظلم ونذنب ولا نذكر هذا الإله الواحد إلا قليلًا.

لماذا تمرض نفوسنا؟

إنها لم تكن لتمرض لو كان الله في قلوبنا ولكن الكلام سهل، والحقيقة والواقع شيء آخر؛ لذا فإن نفوسنا تمرض بالضيق والضنك والغفلة وقلة الرحمة وبالخوف من المستقبل. لو كان الله في القلوب لاطمأنت ونظرت إلى المستقبل بتفاؤل؛ لأن المستقبل ـ يعني ـ لقاء الله ونيل الثواب.

وإني ـ والله ـ لأشفق على أولئك الظالمين عندما أتخيل الحياة الصعبة التي تنتظرهم. حياة أبدية كلها عذاب وأهوال ومعاناة وآلام لا تنتهي.

تخيل عذابًا سرمديًا لا أمل بالخروج منه.. وهذا كلام ليس تصوريًا بل هو حقيقة لا ريب، ومرحلة سوف تبدأ فورًا بعد الموت ومغادرة هذه الحياة القصيرة.

والله إنهم مساكين يستحقون البكاء على مصيرهم المأسوي الصعب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعندما أسأل نفسي لماذا يقوم هذا الصنف من الناس بالإمعان في الظلم وقتل الأبرياء وأكل أموال الضعفاء بدون حق، ونشر الفساد عبر وسائل الإعلام؟ لماذا كل هذا التمادي في الظلم والطغيان ومحاربة الله ورسله؟!!

السبب ببساطة: هو عدم استحضار الآخرة.

وبالرغم من أن الله حذر البشر، والقرآن مليء بهذه التحذيرات، وبالرغم من أن الله يرسل الإشارات عبر الأمراض والكوارث حتى يرجع الناس إلا أنه لا فائدة، فالغفلة مستمرة.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: 103].

إنها الحقيقة إذًا، وهي أن أكثر الناس في غفلة..

أسأل الله السلامة وأسأله اللطف لي ولكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

سؤال ليس له جواب

17 كانون الأول 2009
التاسعة صباحًا
هيماء ـ ريف المعبر

من منا لا يخاف الموت؟

إنه أم المصائب فكل شيء يهون أمام حضرة الموت.

إنه انتقال من عالم الحركة إلى عالم السكون حيث يخمد الجسد إلى الأبد.

والسؤال هنا هو عن طبيعة الحياة بعد الموت؟

وكيف يُبعث الإنسان من جديد؟

هل يُبعث وهو طفل أم وهو شاب أمْ وهو كهل أم على الحال التي مات عليها؟

هل أجسادنا هناك كأجسادنا هنا؟

إن أهل الجنة لا يحتاجون للذهاب إلى الحمَّام،

وبالتالي هل من حاجة لوجود العورة التي نخرج منها بقايا الطعام.

هل هناك ليل ونهار؟

هل هناك دول وممالك؟

هل هناك نَسَبٌ وقبائل؟

ماذا يفعل من في الجنة إذا كان لا عمل ولا سعي؟

هل توجد مشاعر الغِبطة في الجنة؟

هل يلتقي السابقون من الأمم الأمم المتأخرة؟

كيف هي مشاعرهم عندما يتناظرون بالأعين؟

وأهل النار الأشقياء، هل هم في نار محددة المكان أم هم في مكان لا يمكن تحديده؟

وعندما يموت الإنسان، هل يرى أهل الدنيا وأحوالهم؟

وإذا كان الجسد تأكله التراب وينتهي، فأين تكون الروح؟

هل الجسد وحده هو الذي يُنعَّمُ أو يُعذَّبُ، أم الروح وحدها، أم هما معًا؟

هل تحس الروح بنفسها ووجودها عندما يتلف الجسد التي كانت تسكن فيه؟

هل فعلًا لو تخيلنا عدم وجود كوكب الأرض وما فيه من حياة وانتهاء قصة الخلق والخليقة؟

تخيل لا شيء هناك اسمه كوكب الأرض. لقد انتهى واختفى من كان يسكن عليه منذ بلايين السنين.

أين ذهبوا؟

لقد أخذهم خالقهم إلى أرض أخرى تسمى أرض المحشر كي يجازيهم على أعمالهم وسوف يمنحهم حياة أخرى لا موت فيها أبدًا. وإذا كنا نؤمن على أنها أمور غيبية متحققة لابد منها فهل نحن مستعدون لها؟ وإذا كان الجواب نعم.. فإني أكرر السؤال: هل أنت متأكد؟!!.



وراء بوابة الموت

10 تشرين الثاني 2010
مسقط ـ الخوير
الواحدة بعد منتصف الليل

يا ترى ما شعور الإنسان وهو يموت؟

وبعد الموت، ما الإحساس الذي تحس به روحه؟

هو لا يحس بجسده وروحه لم تمت!

ما هي طبيعة الوقت الذي يحس به الميت؟ هل يشعر الميت بمرور الزمن كما يحسه الأحياء؟

لا أدري..

القرآن يخبر أنه بمجرد الموت تبدأ أحداث ما بعد الموت فورًا حيث الملائكة التي تضرب الظالمين أو الملائكة التي تبشر المحسنين.

هل يرى الميت الملائكة وهي تضربه أو هي تكرمه؟

لا أدري..

هل يرى الميت الدنيا التي رحل عنها؟ هل يرى ما يحدث لأسرته من بعده؟

لا أدري..

القرآن يخبر أن الحياة بعد الموت تستمر الأبد كله وهي حياة تعلن فيها النتائج.. نتائج الامتحان الذي استمر سبعين عامًا التي هي عمر الميت زادت أم نقصت.

يا تُرى هل الأموات يلتقون؟ هل يتزاورون؟

لا أدري.

بعضهم يقول: إن الميت يكون على حالة مثل النوم حيث يرى الكوابيس المرعبة أو الأحلام المريحة حسب نية الميت وعمله. هل هذا صحيح؟.

لا أدري.

القرآن يحكي عن المجرمين قولهم بعد بعثهم: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: 52].

هل كانوا رقودًا مثل رقودنا في الدنيا؟

لا أدري.

الحيوانات عندما تموت تنفق وتحولها البكتريا إلى مواد عضوية لتعيد دورتها على شكل غذاء لنباتات أو تدخل في مكونات التربة وتصبح جزءًا منها.

الأشجار عندما تموت تتحول إلى صورة هباء في الهواء أو تتحلل في التربة فتصبح جزءًا منها. والإنسان كجسد أيضًا يتفكك ويدخل في مكونات التربة.

يا تُرى أين تذهب أرواح الحيوانات عندما تموت؟

أين تذهب أرواح البشر عندما يموتون؟

إذا كانت أرواح البشر تذهب إلى النعيم أو الشقاء فإلى أين تذهب أرواح الحيوانات؟

لست أدري.

لماذا نفرح لحالة ولادة جديدة ونحزن لحالة وفاة بالرغم أن الوفاة ما هي إلا البداية لحياة جديدة خالدة؟

كان الأولى أن يكون فرحنا للوفاة لأنها نهاية الاختبار.

قد يقول قائل: لكن ربما تكون النتائج مخيبة.

أقول لو كانت الحياة الدنيا خيرًا للميت لما أماته الخالق الرحيم.

قرأت لكاتب مشهور الكثير من الكتب وكان الموت شغله الشاغل. كان ذكر الموت لا يفارقه وكانت الحياة التي تعقب الموت همه الأول والأخير. كان يقول في كتبه: إن القرآن يقول بتلك الحياة العجيبة التي تبدأ بعد الموت ولكن الكثير من الخلق عبر التاريخ ينكرون البعث، وبالتالي فإن هذا الكاتب يعتبر الموت الطريقة الوحيدة التي يتم فيه التيقن من هذه المعلومة الهامة وهي أن الحياة لها استمرار بعد الموت واستمرار أبدي دائم.

الموت سوف يزيل اللثام عن الحقائق التي أخبر عنها القرآن.

هذا الكاتب ﷺ كان يقول: كيف تكون سعادتي لو متُّ ورأيت صدق وعد القرآن؟

كان ـ رحمه الله ـ متحمسًا للموت سعيًا وراء معرفة الحقيقة الكبرى.

لقد عاش هذا الكاتب طويلًا حيث تجاوز الثمانين، ثم مات في صبيحة أحد الأيام فكيف يا ترى حاله؟ ماذا رأى؟ بماذا يشعر الآن؟

لا أدري.

إني أقرأ كتبه عن الموت حيث كان يسأل الأسئلة نفسها التي أسألها في هذه الأسطر. هو قد وجد الإجابة، ولكني لم أجد سبيلًا لمعرفة هذه الأسرار إلا عبر بوابة الموت.

الرسول الخاتم كان يردد عند الموت: «بل الرفيق الأعلى» يقصد أنه يفضل الموت ولقاء ربه عن البقاء في الدنيا بعدما خيَّره ربه.

كان الرسول الخاتم يخبر ابنته أنه لا كَرْبَ عليه بعد اليوم. إنها السعادة إذًا.

يا تُرى ما هي العوالم التي رآها الموتى باختلاف هؤلاء الموتى؟ ماذا رأى نيوتن عندما مات؟ أينشتاين عندما مات؟ هتلر ماذا رأى؟.

إن الموت أغرب ما في هذه الحياة؛ لذا فإني متحمس لرؤيته بقدر ما أنا خائف منه ولكن لا سبيل إلا المواجهة فالعلم يحتاج إلى التضحية ولو عبر بوابة الموت. أسأل الله اللطف لي ولكم.. آمين.

رسالة كتبت بعد الموت

الزمان: 22 حزيران 2006
المكان: مدينة هيماء ـ ريف المعبر

لا أتذكر ما حدث لي ولكني أتذكر أني كنت خلف مكتبي أقرأ كتابًا عن مقارنة الأديان وفجأة كان الموت المفاجئ الذي أنهى علاقتي بعالم الأحياء.

إني يا أهل الدنيا عندما متُّ لم أر الله، ولكني أرى عالَمًا مهولًا يختلف عن عالمنا. إني أحس هذا ما أؤكده لكم.. نعم إن الإحساس لا يزال موجودًا فأنا أبصر وأسمع وأراكم وأنتم تدفنونني وأحاول أن أكلمكم ولكن لا جدوى فأنتم أموات في حسابنا.

إنني أصعد الآن إلى عالم غريب، عالم لا توجد فيه سماوات ولا أرضون ولا هواء. إني أرى أنوارًا من بعيد وأرى أمواجًا من البشر وأُمَمًا يتحركون في صمت وأرى نفسي مواصلًا رحلتي ولا أحد يلتفت إلى الآخر والكل يتحرك دون توقف.

إني أريد أن أخبركم بأن قبل موتي بثوان شعرت بالموت وأدركت أني ميت لا محالة، ولكني لم أكن أتوقعه في ذلك اليوم وأن يأتيني بعد الظهر وأتذكر جيدًا أني لم أقل شيئًا عند الموت، لم أقل الشهادة ولا غيرها من كلمات.

وبعد أن غادرت روحي جسدي، رأيت أحدًا يسألني سؤالًا واحدًا: من ربك؟، فقلت: الله، ثم بعد ذلك قالوا لي: أنت من الذين ستر الله عليهم ورأيت نفسي بعدها أطير وحتى الآن أنا لا أزال منطلقًا.

ولكني أشعر وكأني في حُلْم ولكنه حُلْم غريب جدًا، فأنا أرى نفسي وأنا لي من العمر خمسة عشر عامًا وأرى نفسي وأنا أقف في صفوف الصلاة ملتفتًا يَمْنَةً ويَسْرَةً دون خشوع. نعم إني أصلي وأعرف كل المصلين في الصف من حولي، إنه في مكان ما في مدينتي وكم أشعر بالضيق الآن وأنا أنظر إلى نفسي في تلك الصورة حيث لا أرى نفسي خاشعًا.

ثم أرى نفسي منفردًا وأنا أتمشى قبيل المغرب في بيتي في قريتي وأنا أحمل مذياعًا صغيرًا أسمع أخبار الدنيا ثم أرى نفسي وأنا أرفع بصري إلى السماء فأقول: ما أعظم الله! فأشعر بالسعادة من هذا القول.

أرجو أن تصلكم هذه الرسالة يا أهل الحياة فلطالما تمنيت أن يخبرني الأموات بما يشاهدون ويشعرون ولكني وبعد أن مت أردت أن أبث هذه المشاهد لكم حتى تكونوا على يقين فيما أخبركم به.

أنا ما زلت أرى مشاهد عمري كلها حتى يوم الموت عندما كان عمري خمسة وخمسين عامًا. الآن أرى نفسي في العام 2007 وأنا أشاهد فِلْمًا أَجْنَبِيًّا فيه الكثير من العري نعم إني أري نفسي مهتمًا بأحداث الفِلْمِ وأشعر الآن بضيق وندم على مشاهدتي لذلك الفلم.

ثم أرى نفسي وأنا صامت في مكتبتي أفكِّرُ في معنى وجود الله فأشعر براحة كبيرة جدًا.

هل أنتم معي يا أهل الدنيا؟ فأنا ما زلت مواصلًا رحلتي فرحًا لأن القرآن كان صادقًا فيما أخبر ولقد نجحت ـ والحمد لله ـ وقد غفر لي ربي ولكني لم أر الله بعدُ، ولكني أشعر بالسعادة في كل جزء مني وأرى نفسي محلقًا في عوالم بديعة في تكوينها ربما هي الجنة أو شيء آخر غيرها ولكني مشدوه بالنظر إليها. يا أهل الدنيا إن القرآن حق وجميع ما فيه صدق فلا تغرنكم الحياة الدنيا واسمعوا الكلام من شاهد عيان.

إني أرى عالَمًا غريبًا فيه أشياء لا أعرف وصفها وهي فوق الخيال، إنه عالم رحب ولا أرى شمسًا ولا سماءً إنه عالم عُجيبٌ والله.

إني أرى فوقي أنوارًا بعيدة جدًا تلمع وأرى بشرًا أمامي يحلقون وأرى بشرًا تحتي، وعندما سألت رجلًا كان يطير بالقرب مني قال لي: إنني وهو في الجنة. وإن تلك الأنوار البعيدة فوقنا هي جنان لبشر قد جاوزونا عملًا وعلمًا وحبًا لله فشعرت بالندم على أني لم أحقق حلمي وهو أن أكون الأقرب فلقد أنزلني ترددي في المعاصي وكسلي عن تقديم الأعمال العظام. وهذه هي النتيجة ولكني أحمد الله على أنه ستر علي وأدخلني الجنة الدنيا. وقد قيل لي إن الجنة لا دخول فيها إلا يوم القيامة وحتى ذلك الوقت فسوف أبقى متجولًا في هذا العالم.

ولا تصدقون كيف هو شعوري بالضيق وبالسعادة أيضًا فأنا أحمد الله أنه ستر وأدخلني الجنة ولكني في الوقت نفسه أشعر بالندم على أني فرطت في الدرجات العلى بسبب معاصٍ كنت أستطيع تجنبها. إنني أندم على اهتمامي بمتابعة الدوري الأسباني ومباريات المنتخب الوطني فلم يسألني أحد عنها في هذا العالم

العجيب. إني أندم على استعجالي بعد الصلوات في الخروج من المساجد. إني أندم على عدم تهجدي مع أني كنت أعلم أن المقام المحمود مربوط بها بنص القرآن.

إني أشعر بالندم على عدم نصحي لأناس لم يكونوا يصلون الصلوات. إني ومع أني في الجنة الدنيا أشعر أنه كان بوسعي أن أكون من الخواص وأنا لا أدري هل سوف أرى الله أم لا؟ ولكن الله موجود يا أهل الدنيا، الله موجود فعلًا وها أنا ذا أرى صدق الوعد.

إني من هنا ألعن الظالمين والمضلين الذين ضيعوا علينا الدرجات العُلى من الجنة لقد كانوا السبب في حرماني من صحبة الأنبياء والمشاهير. لقد سبقني كل الأصحاب وأرى جميع أهل الدعوة فوقي بل بالكاد أرى أنوارهم كما ترون أنتم النجوم السحيقة. إنهم أعلى مني بمسافات بعيدة جدًا.

وأنا ما زلت مواصلًا رحلتي، وربما لا أستطيع أن أوصل رسائلي بعد هذا المدى فأختم وأقول: إن عالمًا بعد الموت لعالمٌ فوق الخيال، وإذا أردت مقارنة حجمه بالنسبة إلى عالمكم فهو مثل قطرة ماء بالنسبة إلى المحيط الهندي.

مزامير الولاء والمحبة

كانون الأول 2000م
حي الميناء ـ مسقط

يا من خلق الأسباب ثم غاب عن الأنظار تعظمًا.

يا من زين الطاووس واختار ألوانه.

يا من أمسك الطير في جو السماء، وهيأ لها هيكلها الملائم لتطير.

يا من جعل لبيض البعوض أكياسًا هوائيةً حتى لا تغرق في البحيرات!

يا من ابتدع نظام الطفو، وأرشد «أرشميدس» إليه، وسيَّرَ موسى في البحر وعطل له قانون الطفو!

يا من خلق قانون الطيران وبيَّن نواميسه وأسبابه، وطيَّر بساط سليمان دون قوانين الطيران.

يا من خلق الجمال وأظهره في مخلوقاته.

في ابتسامة الوليد.

في حياء الفتاة.

في مروج الأزهار.

في انبلاج الفجر وفي تقهقر الظلام.

أنت من خلق السم في العقرب والعطر في الزهور.

يا من خلق العقل وأعطاه القدرة على التفكير، ولم يعطه القدرة على تصور خالقه.

يا من استدعانا إلى الوجود فضلًا منه ومنّة، ويا من يتجلى علينا بصفاته وأسمائه.

يا من إليه نرجع يومًا مّا، فيمتن علينا برحمته وفضله.

يا حكيم لا حق إلا أنت، وما عداك باطل.. سراب.. عدم.

يا من تقف الأحداث عند بابه لتستأذن قبل أن تحدث، فيأذن لما يشاء، ويمنع ما يشاء،فلا شيء يحدث إلا بعد علمه.

يا من أعطى الحرية لآدم، ثم شرع المغفرة والإنابة والقبول.

يا من خلق الشيطان، وحذر منه بني الإنسان.

يا من أمات محمدًا، وهو أحب الخلق إليه.

يا من ابتلى الصحابة فتقاتلوا، ثم آخى بينهم فعادوا بفضله إخوانًا.

يا من يبتلي البشر بالمجاعات، ثم يرقق قلوب الرحماء وأفئدة الأغنياء منهم ويصبر المبتلين.

يا من يبتلي الخلق بالزلازل فتقتل ألوف الموحدين، ثم يحيي بهم ملايين الساجدين!

يا من خلق المرض فيصيب ألوف الشباب بالشلل تمحيصًا لهم وابتلاءً؛ لحكمة عالية.

يا أرحم الراحمين سبحانك، رضيت بقدرك، يقينًا بحكمتك، واعترافًا بعظمتك، فمنك كانت البداية، وإليك المآل والمنتهى.

يا سيدي عفوك ألتمس، ولطفك أرجو، فأنا لم أقدرك حق قدرك، وقد عصيتك كثيرًا، فإن عذبتني فبعدلك وإن رحمتني فبفضلك.

يا الله لا أحد موجودًا بحق إلا أنت، وما عداك هو مجرد ظاهرة سراب لا تلبث أن تختفي.

يا الله فهِّمني عنك. يا الله كرّه إليَّ عصيانك. يا الله، الستر الستر. . .، أسألك من فضلك يا كريم.

يا من جعل من البذرة أغصانًا وعيدانًا، وأوراقًا وأخشابًا ونيرانًا، وفحمًا ورمادًا وسمادًا، وخلق منها بعد ذلك حياة..

يا من جعل كل مخلوق من مخلوقاته يحمل موته ويحمل حياته.

يا مَنْ مُلكه يتجاوز السماوات والأراضين.

يا من يبقى ولا يموت، ويا من لا ينسى ولا يمرض ولا يخاف.

يا خالق الموت ويا صاحب الأمر ويا من لا يغيره الدهر، يا من له الشمس تسجد والقمر يسبح والجبال تُؤوِّب، والملائكة طَوْع أمره.

يا من تَعرفه كل مخلوقاته فتسبحه.

يا مَنْ خلق المشاعر وميّزها وبرأ الأحاسيس: ضَحِكٌ، وحُزْنٌ، وفَرَحٌ، ودَهَاءٌ، وكرمٌ، وشجاعةٌ، ومحبةٌ، وولاءٌ، وإخلاصٌ، وثناءٌ، وظلمةٌ وصفاءٌ...

كلها في مخلوق واحد هو الإنسان.

فيا الله عفوك، غفرانك يا سيد الأبدية..

الإله الواحد عندما كتب على نفسه الرحمة

22 آيار 2011
حقل نمر النفطي - جنوب عمان
11 مساء

إني أحمد الإله الواحد كثيرًا على أنه هو إلهي؛ إذ لن أجد إلهًا مثله في رحمته العجيبة التي تحيط بي.

من رحمته أنه خلق ملائكة تستغفر لنا وتدعو لنا، فهل بعد هذا نَقْنَطُ. تخيلوا أن الله يخلق خلقًا يستغفرون لنا!. يقول الله في كتابه الخالد: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشورى: 5].

ومن أدلة رحمته الواسعة التي لا تشبهها رحمة أنه تعالى ألزم نفسه وكتب على نفسه الرحمة ولم يلزمه أحد بذلك، كيف وهو الواحد الأحد.

يقول الله في قرآنه: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 12].

حتى الخلق والإيجاد كان رحمة وليس شقاء كما يظنه بعضهم، يقول الله ممتنًا بالحياة والإيجاد بعد العدم: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾. [البقرة: 28].

إن الوجود رحمة بغض الطرف عن الظروف التي يعيشها الفرد، فالقرآن يخبرنا أن الإيجاد نعمة تستوجب الشكر مهما كانت الظروف شاقة، وربما يقول بعضهم إن الحياة مشقة وإن عدم الخلق هو الرحمة فلا سؤال ولا حساب. والرد على هذا القول هو من القرآن، فالقرآن يقول بخلاف ذلك والدليل: الآية التي ذكرتها سابقًا، فالله يمتنُّ أنْ خَلَقَ، واللهُ لا يمتنُّ إلا بشيءٍ جميلٍ كان ضروريًا. صحيح أنَّ الخلقَ في كَبَد كما يقول القرآن، لكن الحصيلة النهائية رحمة وخير، وربما يصعب إثبات ذلك لكن يقينًا بعد الموت وبعد أن نمرَّ على كل طبقات الحياة من حياة وبرزخ ونشور سوف نرى أن الخلق كان أمرًا ضروريًا وكان في نهايته رحمة وسلامًا.

ومن صور رحمة الله الواسعة أن يأمر نبيه

الخاتم ﷺ - بأن يستغفر للمؤمنين. يقول الله لنبيه الخاتم: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾ [آل عمران: 159].

إذا كان الله وهو الإله الواحد يأمر نبيه بالرحمة فكيف هو سبحانه!

ومن رحمة الإله الواحد أنه أرسل رسولًا خاتمًا رحيمًا بأمته كما قال سبحانه ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: 128].

وإذا كان هذا الرسول رحمة بما فيه من صفات الكمال والأخلاق فإن ذلك دليل آخر على شدة رحمة من أرسله.

ومن صور رحمته تعالى أن أمر بالبشارة قبل الإنذار ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ الآية ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأحزاب: 45، 46، 47].

ألا تكفي هذه البشائر كي تجعلنا نسعد ونتفاءل ونتطلع إلى هذا اللقاء.

إن التدبر لكلام الله يعطيك صورة واضحة عن أخلاق من يتكلم فمن كلام الإله الواحد في قرآنه الخالد نستشف هذه الرحمة الواسعة ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: 237]. نفهم أنه

تعالى أمرنا بالفضل في التعامل وليس العدل فحسب، وبالتالي فهو تعالى سوف يعاملنا بالفضل لا بالعدل وهذه بشارة كبيرة لأن الله ذو فضل واسع بشكل لا يتصور.

ومن أدلة رحمته: أنه سمى نفسه الرحمن الرحيم، وأنه ودود، وأنه غفور وكريم ورءوف ووهَّاب وجبَّار أي يجبر النفوس والخواطر، وأنه لطيف... أسماء حسنى جميعها تدل على رحمة الإله الواحد.. رحمة لا تصل إليها العقول.

فمن صور رحمته: أن لا يعاجل المذنب بل يمهله، علَّه يرجع، فإذا رجع بدَّل سيئاته إلى حسنات.

ومن رحمته: الأمطار التي تحيي الأرض بعد مماتها.

ومن رحمته: الليل والنهار، وتعدد الفصول، وتنوع الثمار.

ومن رحمته: الأنهار العذبة التي تشق المدن، والبحار والمحيطات التي تجري فيها السفن الأعلام ناقلة البضائع والسلع من قارة إلى قارة.

ومن رحمته: أن أمر بالتراحم والإحسان إلى الناس ولا يأمر بالإحسان إلا المحسن ولا يأمر بالرحمة إلا ذو رحمة.

ومن رحمته: أن هوَّن مصيبة الموت في نظر المؤمنين بأن أخبرهم أن الموت رجوع إليه تعالى، فكأن الرجوع إليه يجعل الموت منحة وليست محنة، ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: 157، 158].

ومن رحمته: أن أمر عباده بأن يذكِّروا بعضهم بعضًا، فلا يغفلوا عن الآخرة فتضيع عليهم فرصة العمر.

ومن رحمته: أنه حرَّم الرِّبا؛ لأنه استغلال، وأنه حرم الظلم بأنواعه، وأنه أمر ببرِّ الوالدين وأنه نصح بالصبر على الزوجة ولو على كره.

ومن رحمته: أن أخرج يونس النبي ﷺ من بطن الحوت، وأنبت له شجرة من يقطين.

ومن رحمته: أنه علم الإنسان ما لم يعلم، فكان اختراع الكهرباء ووسائل الاتصالات وتقدم الطب وغيرها من علوم.

فسبحان من كتب على نفسه الرحمة، وسبحان من جعل قلوب عباده تبكي تأثُّرًا من عظيم رحمته.

حذارِ

20 أيلول 2010
مرتفعات رأس الحمراء ـ مسقط
12 مساء

يخبرنا القرآن أن في الآخرة سوف يتوزع الناس فيها على درجات وفق أعمالهم. والسؤال الدائم الذي يشغل بالي هو عن الإنسان الذي سوف يشغل منصب [أقرب الخلق إلى الخالق]، هل هو النبي محمد؟، أم هو إبراهيم الخليل؟، أم هو آدم أول بني الإنسان؟، أم هو مخلوق آخر من جنس آخر يعلمه الله؟

ربما تتعجبون من طريقة التفكير هذه، ولكن لماذا نحدد المخلوقات الراقية في الإنس والجن والملائكة. ألم يقل الله في القرآن: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 19]، وليس شرطًا أن يكون الخلق الجديد بشرًا مثلنا أو جنًّا.

وإذا كانت كلمات الله لا تنتهي فإن هذا يعني قطعًا أن صفة الخلق ليس لها نهاية فهي صفة مستمرة،

والله سبحانه يخبرنا عن نفسه أنه يبدئ ويعيد، ومن أسمائه الحسنى المبدئ والمعيد.

في يوم القيامة يوم الجمع الأعظم الذي لا يتكرر في تاريخ الوجود، سوف تتفاوت درجات المخلوقات، سوف يرتفع خلْقٌ إلى درجات عالية في القرب من خالقها العظيم. وسوف تهبط مخلوقات في المقابل إلى درجات سحيقة في البعد عن خالقها بسبب ما اقترفت. ومن شدة العدل في ذلك اليوم الغريب هو أن المخلوق هو من يحاسب نفسه بعد أن يعطى كتابًا يحوي جميع ما عمل من خير وشر، وهذا من أجمل صور العدل والحساب في أن يحاسب الإنسان نفسه بنفسه، يقول القرآن عن هذا: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: 14].

بعد إعلان النتائج تكون المشاعر بالغة. . فالفرح هناك فرح جنوني، كيف لا! وقد علم ذلك المخلوق الضعيف أن خالقه قد رضي عنه وقد أعطاه الراحة الأبدية والسعادة التي ليس لها نهاية. . لا عجب أن يكون الفرح فرحًا جنونيًا، ولكن لا أقصد الجنون الذي يصيبنا في الدنيا بل هو جنون من نوع آخر. إنه السكر الذي لا يُتخيل، وربما يكفي المخلوق الضعيف هذا

الخبر الجميل وهو أن خالقه راضٍ عنه، وهذا يكفيه وتغدو الجنة بعدها تحصيل حاصل ليس إلا، إذ يكفيه أن يرضى عنه خالقه.

أما الندم فلا يوصف؛ لأن المخلوق قد خسر ببساطة كل مستقبله، كل مستقبله ضاع وتبدد، إنه الخزي بعينه. كيف لا، وقد خسر رضا خالقه الذي خلقه بيديه إلى الأبد، وربما يقول بعضهم: ولكن قد يخرج المعذبون من أرض العذاب. أقول: هل تخيلت إقامتك في العذاب الأليم المخزي ألف سنة مثلًا!؟

يقول الخالق العظيم في قرآنه الخالد: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49، 50].

هل سمعت؟!!!

إنَّ عذابه أليم في حال أنه حكم عليك بالعذاب وهو سبحانه رب كريم، ذو رحمة لا يعذب إلا الأشقى الذي لم يحترم خالقه وخَلْقَه.

ومن هنا ـ من أرضنا الدنيا التي لا تزال فيها الكثير من الفرص للتوبة والرجوع إلى الخالق العظيم ـ أقول للظالم الذي يعربد في هذه الحياة: إن العذاب الذي ستلقاه بسبب ظلمك لخلق الله من بشر وغير بشر

سوف يكون أليمًا، بحيث من المستحيل وصفه وتخيله، لكني أضرب لك مثالًا من العذاب الذي أستطيع تصوره وهو أن توضع في صندوق معدني صلب له فتحات للتنفس ثم يقفل عليه سنين طويلة على تلك الصورة.

تخيل؟!!!

وإني أستغفر خالقي على مثل هذا التصور، لكني أتصور فقط نموذجًا من التعذيب الذي لا يتحمله الإنسان الضعيف دقائق في هذه الدنيا فكيف بعذاب وصفه الخالق الرحمن أنه أليم.

يا الله!!! إني أستغفرك على ما قدمت جميع مخلوقاتك من ذنوب ومعاصٍ ومخالفات.

أستغفرك يا عظيم عن جميع من استغفرك وعن جميع من لم يستغفرك، وظني فيك كبير وكبير جدًا، وهذا ليس حَدْسًا بل هو ما أستشفه من كلامك الكريم في طول القرآن وعرضه.. فلك الحمد والمنة يا خالقي الجليل.

النِّسْبِيَّة في كل شيء

25 تموز 2009
هيماء ـ ريف المعبر ـ وسط عمان

ليست نظرية النسبية التي وضعها أينشتاين فتلك تختص بالمادة وحركتها، أما ما أقصده فهو النسبية في آراء البشر ونظرتهم إلى الأشياء.

النسبية هي سبب الخلاف بين الأمم، بين الأفراد، بين الأخوة أنفسهم. حتى إن المرء تختلف نظرته إلى ما حوله من يوم إلى آخر بسبب اختلاف النسبية في نفسه.

فمثلًا، بالنسبة إلى أخي عنده أن التعرف إلى الناس ومخالطتهم ومواصلة الاتصال بهم هي من الأشياء الهامة في حياة الإنسان، إذ إن الإنسان اجتماعي بطبعه. وهذا ما قاله قبله ابن خلدون[1].

(1) هو: عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (ibn- Khaldun)، (732 ـ 808هـ، 1332 ـ 1406م)، عالم اجتماع وهو أول من =

وبالنسبة إلي، فإن التعرف إلى الناس وتوسيع ذلك مضيعة للوقت إذ كلما تعرفت أكثر زادت التزاماتك، وبالتالي ضاع وقتك وعمرك من أجل حياة الآخرين.

بالنسبة إلى أخي، فهو لا يعتبر ذلك مضيعة للوقت بل هو أمر ربّاني مستشهدًا دائمًا بالآية لكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: 13].

بالنسبة إلي فإن الإنسان يجب أن يقضي وقته متأملًا متفكرًا في هذه الحياة والأسرار التي بثها الله في مخلوقاته بدلًا من تضييعها في التعرف إلى الناس.

بالنسبة إلى أمي فإن كثرة الولد نعمة، وهو هدف في ذاته. بالنسبة إلي فإن كثرة الولد إسراف للوقت الغالي إذ يجد المرء أنه ينفق حياته من أجل حياة الآخرين وإن كانوا أولاده. بالنسبة إلى أمي فإن رأيي هذا هو من الذنوب التي يجب أن أستغفر الله منها. قلت لها: إن رأيها صحيح بالنسبة إليها، أما بالنسبة إلي

= وضع علم الاجتماع على أسسه الحديثة، حيث خرج بنظرياته الاجتماعية حول قوانين العمران وملاحظاته الدقيقة حول قيام وسقوط الدول وأعمارها وأطوارها.

فهناك أشياء أكثر أهمية مثل نعمة التفكر والعلم والبحث والتأليف والإطلاع العلمي. فمن منا يا تُرى على صواب.. أمي أم أنا؟.

الجواب الصحيح هو نسبي دائمًا، فبالنسبة إلى أمي هم الأولاد، وبالنسبة إلي هو البحث العلمي والتأليف.

بالنسبة إلى صاحبي فإن المال هو أساس القوة، والله يحب المؤمن القوي واليد العليا خير من السفلى، وبالتالي فإنه من الحكمة أن يبذل المرء معظم وقته في أن يكون ثريًا ينفع المحتاجين ويأخذ بأيديهم.

بالنسبة إلى صاحبي الآخر فإن حب الله هو الأهم وهو ما يجب أن ينفق المرء فيه عمره إذ لا معنى للحياة من دون الوصول إلى الحب الحقيقي للخالق العظيم. إن عدم وصول المرء إلى منزلة الحب الحقيقي لخالقه يعني أنه انحرف عن الغاية التي خلق من أجلها، إن السعي وراء الثراء شيء جميل ولكن الأجمل والأفضل أن يقضي المرء حياته في التفكر في أفعال خالقه الجليل والتأمل المتواصل كي يصل إلى مرحلة الحب الحقيقي الذي إن وصله المرء سوف يذوب من شدة الوجد.

فمن من صاحبي على صواب؟

الجواب الصحيح هو نسبي دائمًا.

بالنسبة إلى زميلي في العمل فإنه مرتاح الضمير فراتبه يكفيه ويزيد وقد رزقه الله زوجةً صالحة جميلة وأولادًا جميلين، وسمعته في السماء وهو لم يظلم أحدًا في حياته، فكيف لا يكون مرتاح الضمير وقد تحققت كل أحلامه؟.

بالنسبة إلي فإني لن أكون مرتاح الضمير حتى ولو عندي ما عند زميلي حتى أضيف شيئًا إلى هذه الحياة كأن أكون تاجرًا بليونيرًا أساعد ملايين البشر أو أكون عالمًا عظيمًا تستفيد البشرية من أبحاثي أو أكون أديبًا كبيرًا تنتشر كتبي في أرجاء المعمورة الأربعة.

بالنسبة إلى عالم الدين الذي يسكن في مدينتي فإنه يمقت كل المقت أتباع المذهب الآخر ويقوم بتحريض الناس عليهم فهم في رأيه خارجون على الملة فهم خطر على الإسلام وطابور خامس يجب الحذر منهم والدعاء عليهم بالموت والثبور والهلاك بعد كل فرض وفي كل مناسبة.

أما بالنسبة إلى عالم الدين الآخر الذي يعيش في المدينة نفسها، فهو يحب أتباع المذهب الآخر ولا يحمل ذرة مقت لهم، والسبب أنه يرى أن الاختلاف

سنة الله وهو يعلم أن أتباع هذا المذهب صادقون في ما يعتقدون به وهو يحترم هذا الشعور، وهو يرحمهم لأنه متيقن أن الله ـ تعالى ـ يحب جميع خلقه ويرحمهم وبالتالي فهو يرحمهم حتى لو اختلفوا في المذهب، بل حتى لو اختلفوا في الديانة فهو يؤمن بحرية المعتقد التي يقرها القرآن الكريم. وهو يعلم أن الاختلاف سنة الله بدليل الآية: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: 118، 119].

والسؤال الآن: من منهما على صواب؟

الجواب الصحيح هو نسبي دائمًا.

بالنسبة إلى حركة فتح الفلسطينية فإن التفاوض السلمي هو أفضل الطرائق لتحقيق الحلم الفلسطيني وإقامة دولة فلسطين. بالنسبة إلى حركة حماس فإن المقاومة المسلحة هي الأفضل وهي الطريق الوحيد إلى الحرية والاستقلال في ظل الهوان وحياة الذل إذ لا معنى لحياة الذل. والسؤال أيهما أصوب؟

الجواب الصحيح هو نسبي دائمًا، فكل من فتح وحماس يسعيان إلى الغاية نفسها ولكن الوسيلة تختلف بالنسبة إلى كل منهما.

هل ترون؟ كل ما حولنا نسبي؟

في بعض الأحيان يزورني إحساس قوي أن الطريق إلى القوة والمجد لا يكون إلا بقوة الاقتصاد فالاقتصاد هو الأساس الذي تقوم عليه الحضارات وهو القوة التي توفر المال المطلوب للبحوث العلمية المتنوعة، وبالمال أيضًا نصنع أفتك الأسلحة التي نقهر به المعتدين. عندما يزورني هذا الفهم يكون بالنسبة إلي حينئذ مضيعة للوقت أن أقرأ كتبًا في عالم الغيب أوفي الشعر فالأحرى أن تكون قراءتي في الاقتصاد والتفكر في كيفية الارتقاء باقتصاد بلدي.

وفي بعض الأحيان وعندما أفكر بصدق في الآخرة وفي الحياة القادمة وما في عالم الغيب من مفاجآت وعندما أرى الآلام التي يعايشها الكثير من الناس تدفعني دفعًا إلى التأمل في هذه الأشياء، ويكون بالنسبة إلي حينئذ أن التفكر والتأمل هما ما نحتاج إليه نحن البشر حتى نفهم الأسرار التي تقف خلف هذه الأحداث، فمثلًا كيف لا يكون المرء مدمنًا التأمل وهو يرى صورًا صعبة من العذاب مثل:

* أن يولد الطفل أعمى، ويعيش أعمى طوال حياته.

* أن يُشل شابٌّ في حادث، فيظل بقية عمره قعيدًا تقوم أمه بتنظيفه والاطلاع على عورته.

* أن ترى الإخوة أنفسهم يتمايزون في الجمال، فذلك في قمة الجمال، وذلك في منتهى القبح بالرغم من أنهم من الأبوين نفسيهما؟ ما السبب؟ ما الحكمة؟سبحان الله!!

* أن تجد أسرة يقف راعيها عاجزًا عن سداد فاتورة الكهرباء مهمومًا من الحال التي يكابدها؛ حيث يرى أطفاله يتقلبون في الليل والنهار من الحر ويرى جاره الآخر يعيش في فيلا من طابقين مزودة بأحدث وسائل التكييف.

في بعض الأحيان أضع مبدأ بسيطًا يريح عقلي وفكري، وهو أن الله لا يظلم أحدًا وأن خلْقنا كان رحمة، وليس نقمة وإلا لِمَ خلقنا الله من الأصل؟!، وبالتالي فإذا كان خلقنا رحمة فكل ما يجري علينا في الحياة رحمة لأن الحياة من أصلها رحمة بغض الطرف عن الظروف التي نعيشها بعد ذلك.

عندما أؤمن بهذا المبدأ فإني لا أفكر أبدًا في الآلام؛ لأنها في نظري رحمة لأن الخلق من أصله رحمة، وبالتالي فكل الأحداث بعد ذلك رحمة. إن جميع أفعال الله رحمة، وبالتالي لماذا نتألم ونحزن عندما نرى الأطفال يتألمون وعندما نرى المحتاجين

والمشلولين؟ يجب أن نتجلد بالصبر والرضا لهذه الأحداث مادام الخلق من أصله رحمة.

عندما أؤمن بهذه الفكرة يكون بالنسبة إلي التفكر في التأليف وفي التجارة والوظيفة أولى من التفكر في آلام هؤلاء لكن ذلك لا يعني التخلي عنهم إذ تجب مساعدتهم لكن ما أقصده هو عدم التأثر بهذه الآلام لأنها في باطنها رحمة.

وكما ترون فإن النسبية موجودة حتى في النفس الواحدة إذ إن نظرتي إلى ما حولي تختلف من يوم إلى آخر بالنسبة إلى المبدأ الذي أعتقد به.

فعلًا إن النسبية هي سبب جميع خلافاتنا إذ الكل يرى أنه على صواب، والسؤال كيف نحدد الصواب وبالنسبة إلى من؟

الجواب هو: أن الصواب يكون دائمًا بالنسبة إلى الله تعالى وليس بالنسبة إلينا أو إلى غيرنا من الخلق ولو قرر البشر أن يفعلوا الصواب بالنسبة إلى الله وحكَّموا ضمائرهم بصدق في أنهم يفعلون الصواب بالنسبة إلى الله لدلتهم ضمائرهم إلى ما يريده الله، ولكن لو لم يَصْدُقوا في تحكيم ضمائرهم لاختلفوا في ما يريده الله وما يحبه لندخل في دوامة أخرى من الخلاف والاختلاف.

الجمادات كائنات حية

20 آذار 2009
مسقط العاصمة
الثانية ظهرًا

أي مادة تتكون من ذرات، والذرة الواحدة تتكون من الالكترونات والبروتونات والنيترونات.

ومعلوم أن الالكترونات تتحرك في مسارات حول النواة، والسؤال المدهش هو عما يحرك تلك الإلكترونات وكأنها كائنات حية لها حياة وحركة وانتقال.

إنني شخصيًا أظن أن فيها روحًا نفخها الله فيها، وهذه الروح هي الطاقة الكامنة في تلك الإلكترونات.

قولوا لي: ما هو السِّرُ في تحرك هذه الإلكترونات؟

إذا قلتم الطاقة المشحونة فيها، قلت لكم: ومن أين هذه الطاقة؟ ما هي الطاقة؟

هل هي حرارة؟

الجواب: نعم. إن الطاقة هي حرارة.

ولكن من أين جاءت هذه الحرارة الهائلة عندما نقوم بعملية شطر مكونات الذرة؟

يقول العلماء: إنها بطبيعتها كانت على هذا النحو وهو جواب كقولنا: إن الإنسان بطبيعته يوجد فيه روح أما الروح فلا أحد يعرف سرها.

وأنا أعتقد أن الطاقة المندسة في النواة وفي حركة الإلكترونات هي روح المادة التي لا أحد يعرف سرَّها.

والطاقة تتحرر من شكل إلى شكل، فالطاقة المكنونة في النواة تتحرر على شكل حرارة وضوء، والحرارة تتحرر على شكل قوة حركية أو ميكانيكية وغيرها.

إن سر المادة يكمن في الإلكترونات التي تتحرك خارج النواة فالضوء مثلًا سببه اضطراب في الإلكترونات، وفي ظني أن الوميض (الضوء) يحدث بسبب الاصطدام بين الإلكترونات، أو بسبب تفريغ الشحنات في هذه الإلكترونات كما في البرق، وإذا

قلتَ ما هو الوميض؟، قلتُ: هو التهاب السطح العلوي للإلكترونات.

أيضًا فإن حقيقة المغناطيس سببها الإلكترونات وطبيعتها في التنافر والتجاذب ومرور سيل من الإلكترونات على دبوس مثلًا يجعله ممغنطًا بسبب أن الإلكترونات تتجمع في مكان واحد، أو تأخذ شكلًا معينًا فتحدث ظاهرة المغناطيسية.

أيضًا الصوت هو عبارة عن اضطراب في الإلكترونات، فعندما أتكلم يأخذ كل حرف شكل موجة معينة، فمثلًا كلمة (الله) تأخذ شكلًا مًّا، وبالتالي تنتقل الموجة في الأثير، أو السلك على شكل تعرفه الأذن الأخرى.

إن الإلكترونات كائنات حية فعلًا.

أعلى مقام في الجنة

28 تموز 2010
مكة المكرمة
التاسعة صباحًا

ليس مقام التقوى، بل مقام آخر، إنه مقام الشكر.

والمتدبر للقرآن الكريم يجد ذلك جليًّا في جميع سور القرآن.

وأكبر دليل عل ذلك قول الله تعالى في آية من كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: 123].

إن الآية تقول بوضوح: إن الغاية من التقوى هي الشكر، وهذا سرٌّ من الأسرار الذي لا يعرفه إلا القلة لذلك قال الله عنهم: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].

ولن أطيل الكلام وسأدع آيات القرآن وحدها

تكشف هذا السر، سرُّ أن الحمد والشكر هما علَّةُ الخلق.

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: 1].
- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: 43].
- ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: 10].
- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم: 39].
- ﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [النحل: 75].

- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: 111].

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: 1].

- ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون: 28].

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: 15].

- ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النمل: 59].

- ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النمل: 93].

- ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص: 70].

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: 63].

- ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم: 18].

- ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٥﴾ [لقمان: 25].

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝١﴾ [سبأ: 1].

- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فاطر: 1].

- ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ۝٣٤﴾ [فاطر: 34].

- ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩﴾ [الزمر: 29].

- ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾ [الزمر: 74].

- ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزمر: 75].
- ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: 65].
- ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية: 36].
- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن: 1].
- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13].
- ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: 243].
- ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأعراف: 58].

- ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: 60].
- ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 38].
- ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم: 37].
- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [النمل: 73].
- ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يس: 35].
- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: 73].
- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ

أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: 61].

- ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [البقرة: 52].
- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: 56].
- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: 185].
- ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: 123].
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا

فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾﴾ [المائدة: 6].

- ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المائدة: 89].

- ﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف: 10].

- ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: 26].

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: 14].

- ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78].

- ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الحج: 36].

- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المؤمنون: 78].

- ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [القصص: 73].

- ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الروم: 46].

- ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: 9].

- ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ

وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: 12].

- ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الواقعة: 70].

- ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: 23].

- ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: 40].

- ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: 12].

فيا رب اجعلني من هؤلاء القلة.. يا رب.

يا حكمة الرب 1[1]

15 كانون الثاني 2011
الغبرة الشمالية ـ مسقط العاصمة
الثانية ظهرًا

الله هو المُبْدِىءُ المُعِيدُ.

الحيوانات العشبية تأكلها الحيوانات اللحمية، ثم بعد أن تموت الحيوانات من لحمية، وعشبية تقوم البكتريا بتحليلها وتحويلها إلى مواد عضوية ونترات في التربة، فتتغذى النباتات بها، فكأن النباتات هي من تأكل اللواحم والعواشب وليس العكس.

والله هو الوهاب الذي وهب المخلوقات القدرات الخارقة.

هو من أعطى الحيتان القدرة على أن تسمع بعضها بعضًا من مسافة مئات الكيلومترات.

(1) المعلومات العلمية الواردة في المقال مستقاة من عدة كتب علمية تم ذكرها في صفحة (المراجع) في نهاية الكتاب.

هو منْ أعطى المخلوقات المسكينة الحيل ووسائل الحماية فترى منها من يتظاهر بالموت. ومنها من يحاكي بعضها بعضًا فترى بعض الحشرات تغير لونها مقلدة حشرة سامة أخرى فيخاف المعتدي.

هو منْ يرزق بعض الكائنات التي تعيش في باطن الأرض فلا تخرج أبدًا مثل حيوان الخُلْد الذي يقضي حياته كلها تحت الأرض.

والكائن المجهري المسمى (بطء الخط) يتكور على نفسه 25 عامًا في موات وسكون ثم يتحرك بعدما تتحسن ظروف البيئة التي يعيش فيها.

هو منْ علم الطيور أن تحفظ قوتها في شقوق الأشجار قبل حلول الشتاء فتهنأ بالدفء والقوت في هذه الشقوق..

والفيروسات العجيبة التي هي عبارة عن مركب كيميائي لا جهاز مخ فيها ولا أجهزة.. هذا المركب الكيميائي ما أن يقترب من خلية حية حتى يحقنها بمادته (DNA) فتقوم الخلية بنسخ هذا الفيروس وهي لا تدري وهذا ما يحدث في مرض السرطان.

هو منْ أعطى بعض الكائنات مثل طائر العُقَاب القدرة على الرؤية أكثر من الإنسان بثمان مرات..

وأعطى الأفاعي رؤية الأشعة تحت الحمراء التي يعجز الإنسان عن رؤيتها.

هو منْ جعل لبعض الأسماك خيطًا في رؤوسها وفي نهاية الخيط توجد بكتريا مولدة للضوء فتجلب الفرائس بتلك الحيلة.

هو منْ جعل لحيوانات اللّاما التي تعيش في جبال الأنديز رئتين كبيرتين وقلبًا كبيرًا حتى تعوض النقص الكبير في الأكسجين في تلك المرتفعات الشاهقة.

هو منْ علم ماعز الجبال المهارة في التنقل على حواف الجروف الشديدة في أعالي الجبال حتى تهرب من الضواري وجعل لها حوافر مبطنة بمطاط تساعدها على التشبث عندما تقفز من جرف إلى جرف ومن صخرة إلى صخرة بينما لا نجد هذا المطاط لدى الحيوانات التي تعيش في الأراضي المنبسطة.

هو منْ علم طائر الوَقْوَاق حيلة توزيع بيضه في عش الطيور الأخرى وهي لا تدري فترى طائر الوقواق تترقب الفرص لتضع بيضة مع بيوض الطيور الأخرى وهي لا تشعر فتطعمها على أساس أنها من بيضها. وبعد أن يفقس البيض وتحصل على غذائها من أبويها

بالتبني دون علمهما لمدة أسابيع يصبح الطائر مستقلًا فيطير تاركًا الأبوين المجهدين المغشوشين.

وذلك الطائر الذكي الذي يبدأ بالصياح عندما يجد خلية النحل فيأتي حيوان آكل النحل على صوته ويحطم الخلية ثم يأتي الطائر ليقتات بما يجده من قوت.

إنه الله الواحد الذي لم ينس مخلوقاته فأعطاها ما تحتاج إليه فسبحانه من رب كريم حكيم لا يشغله شيء عن شيء وكل شيء عنده بمقدار.

يا حكمة الرب 2[1]

18 كانون الثاني 2011
الغبرة الشمالية ـ مسقط العاصمة
العاشرة ليلاً

يقول العلماء: إنه لا يمكن رؤية أطراف الكون والسبب أنه لا يمكن وصول الضوء من هذه الأطراف إلى مناظيرنا لأن سرعة تمدد هذا الكون أسرع من سرعة الضوء أي إن الكون يتَّسع بسرعة 300 ألف كم في الثانية.. هكذا يقول أهل الذكر من علماء الفلك.. فهل تخيلنا هذا الكون اللانهائي.

إن نظرة في سكون الليل إلى هذا العالم اللانهائي وما فيه من عجائب تجعلك تشعر بعظمة إله هذا الكون الرهيب.

في النجوم التي تضيء الكون فيرى الإنسان

(1) المعلومات العلمية الواردة في المقال مستقاة من عدة كتب علمية تم ذكرها في صفحة (المراجع) في نهاية الكتاب.

المجرَّات بنور هذه النجوم القوية الساطعة وكأنها مصابيح. القرآن يذكر هذه المصابيح: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: 5].

واللطف الإلهي الذي تراه في كل شيء في هذا الكون وما حواه..

في الغلاف الجوي الذي يحيط بسمائنا والذي يعمل على حماية الأرض من الأشعة الضارة القادمة من الكون. كما يعمل الغلاف على بعثرة ضوء الشمس وتوزيعه على كل الأرض وبالتالي نرى السماء بلونها الأزرق الجميل ولولا الغلاف الجوي لرأينا السماء مظلمة في وضح النهار.

وبخار الماء في غلاف الأرض الذي يعمل على منع خروج الأشعة غير الخطرة عند ارتدادها عن الأرض وبالتالي تدفئة الأرض ولولا هذا البخار الموجود في غلاف الجو لكان كوكب الأرض صقيعًا مثل كوكب المِرِّيخ الذي لا يملك بخارًا مائيًا كافيًا في غلافه الجوي.

وطبقة الأوزون المكونة من الأكسجين الذي يقوم بدور الحامي الذي يمتص نوعًا ضارًا من الأشعة وهي الأشعة فوق البنفسجية وهي إشعاعات ضارة عالية

الموجة عالية الطاقة. هذه وظيفة هذا الغاز الجميل الذي يقلع فوق رؤوسنا مسافة 25 كم تقريبًا.

والأرض التي تدور بسرعة تزيد على مائة ألف كيلو في الساعة حول الشمس وكأنها في سباق. تخيَّل هذه الكتلة الهائلة وهي تسرع هذه السرعة! إنها تسرع لكي تخدم الإنسان، فبدورانها تحدث الفصول وتتنوع الثمار.

ومن صور اللطف الإلهي أن الأرض تدور وهي مائلة حول الشمس، وهي حالة عجيبة، تعم معظم الكواكب في المجموعة الشمسية. بسبب هذا الميل فإن أشعة الشمس الساقطة يكون نفعها أكثر.

ومن اللطف الإلهي أن قمر كوكب الأرض يختلف عن جميع أقمار الكواكب الأخرى حيث يعتبر قمرنا الأكبر كتلة بالنسبة إلى الأرض التي يدور حولها وذلك على ما يبدو لدوره في المَدِّ والجَزْرِ وفي إضافة الجمال على كوكب الأرض.

ومن دلائل القدرة المطلقة أن بعض الكواكب مثل كوب الزُّهْرة يدور مع عقارب الساعة وليس ضدها كبقية الكواكب. إنها قدرة إلهية على أنه يفعل ما يشاء وقت ما يشاء.

والشمس ذلك النجم الهائل الذي في صراع داخلي مع نفسه، فالشمس بين شَدٍّ وجذبٍ. فهي تنجذب إلى داخلها بسبب قوة الجاذبية الداخلية، وبين الضغط الهائل إلى الخارج بسبب الحرارة الهائلة التي تجعل الذرات سريعة الحركة، وبالتالي وجود ضغط إلى الخارج يتعاكس مع قوة الجذب الداخلي. لولا هذه العلاقة لتبددت الشمس إما بسبب قوة الجذب الداخلي وإما بسبب قوة الضغط الخارجي.

أليست الكهرباء رحمة؟ وإذا سألنا ما هي الكهرباء قالوا لنا: هي سيل من الإلكترونات. وإذا سألنا من أين لهذه الإلكترونات بهذه الطاقة والشحنة؟

قالوا: هي طبيعتها أن تكون مشحونة بطاقة! نقول: مَنْ طَبَعَها وجعلها مشحونة؟، فلا نجد جوابًا إلا أنها طبيعتها.

وتلك القوة التي تربط بين البروتونات في نواة الذرة من أين جاءت؟ لماذا لا تتنافر البروتونات بعضها عن بعض مادامت الشحنات المتشابهة تتنافر؟

يقول العلماء: لا تتنافر بسبب القوة الهائلة التي تربطها، ولولا هذه الطاقة لكانت نواة جميع العناصر

عبارة عن بروتون واحد وإلكترون واحد، وهذه هي ذرة الهيدروجين.

إذًا لولا رحمة الله في تلك الطاقة التي تربط بين البروتونات لتحولت جميع العناصر إلى غاز الهيدروجين.

فما أشد لطف الخالق وما أعظم حكمته!

يا حكمة الرب 3[1]

20 كانون الأول 2010
هيماء - ريف المعبر - وسط عمان

الإنسان هذا المخلوق العجيب.. عقل يفكر.. وعْيٌ لما حوله.. ارتقاءٌ مستمر في آفاق العلم. الحروب التي يشنُّها على بني جلدته.. الأسلحة الفتاكة التي يخترعها والتي تكفي لتدمير كوكب الأرض.. قدرته على تنظيم مدنِهِ ودُوَلِهِ وأنظمة حُكْمه.. تركيبه العجيب في جسمه وأعضائه.. كلها دلالة على عظمة من خلقه.

سألتني نفسي يومًا: ما هو الدليل على وجود الله؟

قلت لها: الدليل هو سيارة المرسيدس.

قالت كيف؟

(1) المعلومات العلمية الواردة في المقال مستقاة من عدة كتب علمية تم ذكرها في صفحة (المراجع) في نهاية الكتاب.

قلت: لا يُعْقل أن تكون سيارة المرسيدس بأجهزتها المتنوعة من أجهزة تكييف.. أجهزة إرسال ومواصلات.. أجهزة السلامة.. ضخامة مقاعدها.. أجهزة التنبيه.. أجهزة ضبط السرعة.. لا يُعْقل أن تكون هذه السيارة قد صنعت نفسها بنفسها.. لابُدَّ أن هناك أحدًا قد صممها وركبها على هذا النحو.. كذلك الإنسان وهو أعقد من السيارة لابد له من صانع.

مُخٌّ مُعقَّد بوظائفه المتعددة.. خلايا بالملايين بوظائف محددة.. عينان تمسحان الكون.. أذنان لهما قدرة على تمييز آلاف الأصوات.. أسنان متنوعة، فمنها الطاحن والقاطع والقاص.. لسان يميز بين الأذواق.. وشفتان تغلقان الفم أوتوماتيكيًا للحماية وتضفيان نوعًا من الجمال.. أصابع مصممة بطريقة يسهل بها التحكم في الأشياء فالإبهام معزول عن بقية الأصابع ليسهل إمساك الأشياء.. والأعضاء الداخلية التي فيها غاية الكمال والحكمة.. كلها دلالة على حضرة الإله الجليل.. ألا يستحق هذا الإله التوقير والمهابة ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: 13].

العضو الواحد في جسم الإنسان يتكون من ملايين الخلايا. كل خلية تتكون من ملايين جزئيات من DNA، وكل DNA يحول حوالى 100 ألف جينة وكل

جينة تحمل خطة ورسالة عبارة عن رموز كيميائية وقد استطاع العلماء فك طلاسم كثير من هذه الرموز.

السؤال من وضع تلك الرسائل والرموز؟!

وجسم الإنسان الذي يصلح نفسه بنفسه، فما أن يحدث خللٌ مَّا حتى يبادر الجسم بما أوتي من حِيَل إلى إصلاح هذا الخلل. هل سمعتم بآلة تصلح نفسها بنفسها؟

ومادة العظام الصلبة التي تبقى مئات السنين بعد تحلل الجسم. العلماء يقولون: إن العظم أقوى من الفولاذ والخرسانة إذا كانا من الوزن نفسه.

والعظام المجوفة أقوى تحملًا من العظام المصمتة كما أثبت ذلك العالم الإيطالي جاليليو، فهل صدفة أن تكون عظام الفخذ مجوفة غير مصمتة فتتحمل أكثر!

والمعدة التي تفرز حامض الهيدروكلوريك لإذابة الطعام ثم تقوم المعدة بحماية نفسها من أثر هذا الحامض بأن تغطي طبقتها السفلى بطبقة من المخاط. مَنْ عَلَّمَها؟

والقلب النابض في كل واحد منا، والذي يغير

معدل ضرباته حسب حاجة الجسم.. مَنْ علَّمه وبرمجه؟

والدماغ هذه الكتلة الهُلامِيَّة الخارقة، من أين لها هذه القدرة على التفكير والتخطيط والحساب، وكيف لها التواصل مع أعضاء الجسم الداخلية والخارجية؟ يقول العلماء: إن التواصل يكون عبر الأعصاب وعبر الهرمونات في الدم.. كيف تتفاهم يا تُرى؟

هذه المادة الهلامية، من أين لتلك المادة الهلامية كل هذه القدرات على التفكير والتخطيط، هذه المادة الرخوة هي سر القوة لدى كل الأمم، فأوروبا غزت العالم بسبب وجود فكرة التوسع، والفكرة جاءت من هذا المخ، والمسلمون الأوائل فتحوا الأندلس بسبب فكرة نشر الدين، والاختراعات العظيمة جاءت بسبب فكرة تحسن الحياة، ودُوَلٌ من دون موارد تفوقت اقتصاديًا بسبب فكرة لدى قيادتها، والأسلحة الفتاكة جاءت بفكرة، وهذه الأفكار جاءت من هذه المادة الهلامية الرخوة. وهذه المادة الهلامية من الله، فالله هو منبع الأفكار وملهمها.

والكُلْيتان اللتان تستقبلان يوميًا 2000 لتر من الدم كيف لها تحمل ذلك دون عطب ولمدة تمتد عقودًا طويلة؟.

وكيف للجسم أن يثبت حرارته عند 37 درجة؟، يقول العلماء: يقوم الجسم بذلك عن طريق التعرق وتوسيع الأوردة الدموية أو تضييقها حسب الظروف.

والطاقة الكهرومغنطيسية التي لا تحتاج إلى وسط لتنقل فيه، فهي تحمل نفسها بنفسها بتغير طاقتها الكهربائية إلى مغنطيسية، وبالعكس وهذا النوع من الطاقة أو الأمواج هو أساس الصناعات الإلكترونية اليوم؛ حيث تنتقل المكالمات الهاتفية والبث الإذاعي مستخدمة هذا النوع من الموجات السريعة. أليس عجبًا أمر هذه الأمواج أو الطاقة العجيبة التي ساهمت في رُقِيِّ الإنسان.

يا حكمة الرب 4[1]

20 كانون الأول 2010
هيماء ـ ريف المعبر ـ وسط عمان
الواحدة بعد منتصف الليل

حكمة الله لا تظهر فقط في الإنسان والحيوانات بل في النباتات؛ ذلك العالم العجيب الذي لولاه لما قامت حياة للبشر على كوكب الأرض.

تأمل حكمة الرب في هذا العالم ترى العجب!

في الأشجار التي تتضخم جذوعها في مناطق الجفاف حتى تخزن أكبر كمية من المياه عند توافرها، بينما تكون الجذوع أقل ضخامة في المناطق الغزيرة بالأمطار. من علمها وبرمجها على هذا النحو؟!

وبعض الأشجار الضخمة التي يبلغ طول بعضها أكثر من مائة متر، وتمتد حياتها إلى ألف عام، كيف

(1) المعلومات العلمية الواردة في المقال مستقاة من عدة كتب علمية تم ذكرها في صفحة (المراجع) في نهاية الكتاب.

تصل المياه إلى مسافة المائة متر لتسقي الأغصان الضخمة؟ مائة متر يعني بناية من 30 طابقًا تقريبًا، والسر يكمن في الخاصية الخاصة في الماء، فالماء يتميز دون غيره من السوائل بشدة الشد بين جزئياته مما يجعله يتسلق إلى الأعلى عبر الأوعية النباتية للشجرة.

وتلك النباتات الصحراوية التي تنبت بذورًا لها أجنحة حتى تطير هذه البذور إلى أماكن فيها رطوبة وظروف أنسب للحياة. من علم هذه النباتات في أعماق الصحارى القاحلة هذه الحيلة.

وبعض الأشجار التي تعيش ألف عام شامخة، وكأنها شاهدة على أعمال البشر؟ لقد عاصرت هذه الأشجار الكثير من العصور عبر التاريخ، ولا تزال شامخة وماثلة وكأنها تشهد على ما يحدث في هذه الأرض.

والنباتات في مناطق الثلوج التي تقوم بتسخين نفسها، فتذيب الثلج من حولها فتحصل على ما تريد من الماء. من زودها بأجهزة طرد البرد؟، إن صح التعبير! كيف يمكن لنبات لا يعقل أن يتحكم بهذا الشكل المذهل في درجة حرارته، بل من أين يأتي بهذه الطاقة الحرارية وما هي التقنيات المعقدة التي

يستخدمها؟ حتى أن العلماء بدأوا بالتفكير في استغلال هذه النباتات لإنتاج الطاقة الحرارية في البيوت للتدفئة.

في المناطق الجافة أوراق الأشجار تتخذ شكلًا عموديًا، وليس أفقيًا مع أشعة الشمس حتى تقلل من عملية تبخر الماء بينما تتخذ الوضع الأفقي في المناطق الرطبة. من برمجها؟!

الأوراق في المناطق الجافة تكتسي بطبقة شمعية أو صمغية حتى تقلل من عمليات النتح (التبخر)، بينما لا توجد هذه الطبقة الشمعية في مناطق غزيرة الأمطار كما هو في المناطق الاستوائية حيث الرطوبة المرتفعة طوال العام تقريبًا.

وتلك التضحية الجميلة التي تقوم بها النباتات فعندما تَقِلُّ المياه فإن النبات يضحِّي بأوراقه فتصفر وتسقط حتى لا تقوم هذه الأوراق بعملية تبخير المياه منها فيخسر النبات الكثير من مائه المحدود. . إنها التضحية بالبعض ليبقى الأصل والأم.

من جعل لنباتات الجبال أوراقًا تشبه الفَرْوَ حتى تحبس أشعة الشمس النادرة في أعالي الجبال؟.

من جعل لبعض النباتات الجبلية القدرة على توليد

حرارة تذيب الثلج من حولها وتحصل على الماء؟. من جعل النباتات الصحراوية تتباعد فيما بينها، حتى لا تتنافس في الماء المحدود؟.

هو الرزاق، فالنباتات تولد وتنمو وتموت في مكانها، فهي لا تتجول كبقية الكائنات لذا سخَّر لها الرزاق غذاءها بسهولة، فالنباتات من خلال عملية التمثيل الضوئي تقوم باستغلال أشعة الشمس بتحويل الماء والهواء إلى جلوكوز يعطي النبات الطاقة والغذاء.

وهو واهب الحياة، فترى بعض الأشجار مثل الصنوبر تعيش 5000 سنة متحدية الظروف الصعبة طوال هذه الآباد الطويلة.. والزيتون قد يعمر 3000 سنة كذلك..

وهو من جعل لبذور النباتات أجنحة ومظلات فتطير بعيدًا عن النبات الأم عند أول هبة ريح وبهذا التباعد يحدث تحسن في نوعية النبات والثمار لأن التلقيح يكون بعيدًا عن الأم الأصل.

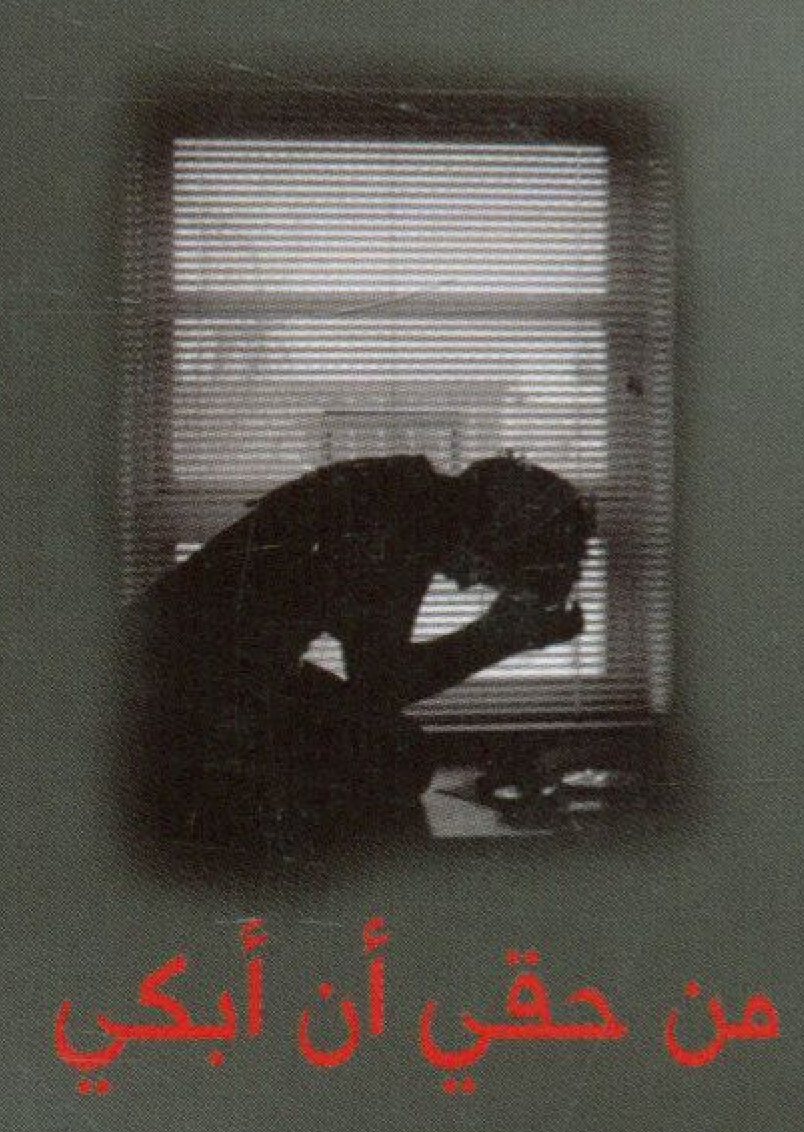
فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

المراجع

موسوعة نباتات العالم،	ابراهيم بدران،	2000
موسوعة العلوم والتقنية - الطاقة الذرية،	ترجمة عماد الدين أفندي وسائر بصمه جي،	2010
موسوعة العلوم والتقنية - الصوت،	ترجمة عماد الدين أفندي وسائر بصمه جي،	2010
موسوعة عالم الحيوان - الطيور،	ترجمة وإعداد محمود خليل،	—
نظريات وتطبيقات العلوم،	مكتبة لبنان ناشرون،	2005
استكشافات ومقدمة في علم الفلك،	توماس ت آرني،	1998
موسوعة جسم الإنسان الشاملة،	مكتبة لبنان ناشرون،	2003
موسوعة الحيوانات الشاملة،	مكتبة لبنان ناشرون،	2009
موسوعة جسم الإنسان كيف يعمل،	لبنان ناشرون،	2003
موسوعة الحيوانات الشاملة،	لبنان ناشرون،	2009

موسوعة الأرض المنبسطة ـ الجبال،	لبنان ناشرون،	2004
موسوعة الطبيعة الشاملة،	لبنان ناشرون،	2007
الجغرافيا النباتية،	عبد الخالق صالح وعبد الوالي أحمد،	1999
معجزة خلق الإنسان،	هارون يحي، ترجمة رمزي رامز،	ـ
الحكمة في مخلوقات الله،	أبو حامد الغزالي،	1978
أسرار الكون بين العلم والقرآن،	عبد الدائم الكحيل،	2006

الموقع الإلكتروني: www.Kaheel7.com



من حقي أن أبكي




ISBN 978-614-404-501-5
9 786144 045015